14 me Année No. 661

Lundi — 4 — 3 — 1946

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
ار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٦١ « القاهرة فى يوم الإثنين ٣٠ ربيع الأول سنة ١٣٦٥ — ٤ مارس سنة ١٩٤٦ » السنة الرابعة عشرة

الاسلام والنظام العالمى الجديد

الأستاذ عباس محمود العقاد

فى سنة ١٨٨٩ ، ظهر فى بنجاب بالهند ، ميرزا غلام أحمد القاديانى صاحب الطريقة القاديانية المشهورة ، وأخذ — وهو فى الخمسين من عمره — ينشر الدعوة إلى تلك الطريقة التى تشتمل على عقائد كثيرة لا يقرها الإسلام ، ولا يقبلها دين من الأديان الكتابية ، ومن ذلك أنه هو نبى الله المرسل وأنه عيسى بن مريم قد بعث إلى الأرض فى جسد جديد !

وفى سنة ١٩١٤ تطورت تلك الطريقة إلى حركة إسلامية تنكر نبوة القاديانى ، وتنكر الحكم بالكفر على من يؤمن بالقرآن ورسالة محمد عليه السلام كائنا ما كان الخلاف بينه وبين الشيع الدينية الأخرى ، وتحول إلى هذه الحركة كثير من أتباع القاديانى وكثير من طلاب التجديد بين السنيين والشيعيين ، وظهرت لهم كتب كثيرة ، باللغة الاردية واللغة الإنجليزية فى التبشير بالإسلام ، مع ترجمة خاصة للقرآن الكريم ، وتواريخ موجزة للنبى وخلفائه الراشدين .

وليست تفسيرات هذه الجماعة للكتاب والسنة بالتى توافق مذاهب الفقهاء المتفق عليها ، لأنها تصرف معانى القرآن إلى أبيد أقوال لم تخطر للأولين على بال ، وليست من مقتضيات الدين فى رأى الأقدمين أو المحدثين .

ولكن الحق الذى لامراء فيه أن هذه الطائفة هى أوفر المسلمين نشاطا ، وأشدهم دفاعا عن العقائد الإسلامية ، وأكثرهم اجتهاداً فى نشر فضائل الدين وأعرفهم بالأساليب التى توجه بها الدعوة إلى العقول الأوربية ، وإلى جماهير المتعلمين فى الشرق والغرب على الإجمال .

وهم يحسنون انتهاز الفرص من الحركات العالمية والدعوات الثقافية حيثما ظهرت فى قطر من أقطار المعمور ، فيدركونها فى إبانها بكتاب يثبتون فيه أن الإسلام أصلح من تلك الدعوة لعلاج المشكلة التى تتصدى لعلاجها ، ويقرنون ذلك دائما بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية والشواهد التاريخية ، وإن فسروها بعض الأحيان تفسيرا لا يقرهم عليه السلفيون أو المتزمتون .

فلما دعا النازيون والشيوعيون إلى « نظام عالمى جديد » لإنقاذ العالم من معضلاته الروحية والسياسية والاقتصادية بادر كاتب من أقدر كتاب هذه الجماعة إلى تفصيل موقف الإسلام من هذه النظم أو من مذاهب الفلسفة التى تعتمد عليها ، فصدر باللغة الاردية مؤلف قيم لهذا الكاتب القدير — وهو السيد محمد. على مترجم القرآن إلى اللغة الانجليزية ، ثم نقله حديثا إلى اللغة الانجليزية فوصل إلينا عن طريق العراق منذ أسبوع .

قرر السيد محمد على فى الصفحات الأولى من كتابه أن خلاص النوع الإنسانى لا يتأتى ولا يعقل أن يكون بغير عقيدة

روحية عاطفية صالحة لتوحيد الناس فى نظام واحد ، يتكفل بحاجات الضمائر والأجساد ، وأن تقسيم الأرزاق بالأسهم والدوانق والسحانيت قد ينشىء بين الناس — إذا تيسر — شركة من شركات التجارة وتوزيع الأرباح ، ولكنه لا يخلق فى الإنسان تلك العواطف النبيلة التى تسمو به على مطالب الجسد ، وتكبح فيه نوازع الأثرة العمياء وهو مغتبط قرير الفؤاد .

قال : ولم تفلح عقائد الغرب فى إحياء هذه العاطفة الروحية ، لأن أوربة قد انحرفت بالمسيحية عن سوائها ، ولأن المسيحية تعنى بخلاص روح الإنسان فى حياته الأخروية ولا تعرض عليه حلا من الحلول التى تقبل التطبيق فى الحياة الدنيا بين وحدة عالمية من جميع العناصر والأقوام ، ولو كانت مسيحية الغرب علاجا لمشكلات الإنسان فى العصر الحاضر لعالجت تلك المادية الماركسية التى طغت على الروسيا الحديثة واقتلعتها من أحضان الدين والإيمان بالله .

أما الشيوعية فيقول السيد محمد على عنها إنها شر من نظام رأس المال ، لأن شرور هذا النظام تتفاقم كلما قل أصحاب رؤوس الأموال ، ومن خطط الشيوعية أنها تحصر رؤوس الأموال فى يد واحدة هى يد الدولة ، وهى نهاية شر على الإنسان من حصر رؤوس الأموال فى يد فرد واحد أو جملة أفراد ، لأن الدولة تصول بالقوة التى لا تقاوم ولا يملكها الأغنياء بالغا ما بلغ نصيبهم من الثراء . وقصارى الأمر إذا اجتمعت الأموال فى أيدى الحكومة أن يصبح الحكام عصبة مستغلة تحل مع الزمن محل الشركات والمصارف الكبرى ، وتصول على الناس بقوة لا تملكها تلك المنشآت .

لكن الإسلام وسط بين نظام رأس المال ونظام الشيوعية ، ينفى المساوىء عن النظامين مما ، ويأخذ بالمحاسن منهما بالقدر الصالح للجماعات .

فهو يكره للمسلم أن يكنز الذهب والفضة قناطير مقنطرة ، ويحرم عليه الربا الذى يتيح لأصحاب رؤوس الأموال أن يستغلوا جهود العاملين بغير جهد مفيد ، ثم هو يأمر بالزكاة ويسمح بالملك ، ويطلق السبيل للمنافسة المشروعة ، فلا يقتل فى النفوس دواعى السعى والتحصيل .

وقواعده الخلقية صالحة لإنشاء الوحدة العالمية ، لأنه يسوى بين الأجناس ، ولا يرى للأبيض على الأسود فضلا بغير التقوى ويعترف للأفراد بالمساواة والحرية ، ويجعل الحاكم « إماما يقتدى به ولا يجعله ربا متصرفا بمشيئته فى عباد الله .

ومن هنا يتقرر المستقبل فى العالم الحديث لمبادىء الإسلام لأنه يقود العالم كله إلى الخلاص بعد فشل رأس المال ، وفشل الشيوعية وقصور العقائد الروحية الأخرى عن تدارك أحوال المعاش وتدبير الحلول للجماعات الانسانية فى مشكلات الإجتماع والإقتصاد وما يتفرع عليها من مشكلات الأخلاق والآداب .

والإسلام يحول بين الإنسان وبين الإستغراق فى شؤون المعاش ومطالب الأجساد ، لأنه يناديه إلى حضرة الله الملك الأعلى خمس مرات فى الليل والنهار ، فلا تطغى عليه النزعات المادية وهو يتردد بين عالم الروح وعالم الجسد من الصباح الباكر إلى يضمه النوم بين جناحيه .

وقد دبر الإسلام مشكلة البيت ، كما دبر مشكلة السوق والسياسة ، لأنه فرض للمرأة حق الاكتساب ولم يجعلها سلعة تباع وتشترى لإشباع الشهوات ، وربما دبرت لها حكومات الغرب صناعات للرزق وأجورا فى حالات البطالة ، ولكنها لا تدبر لها « البيت » الذى هو ألزم لها من القوت والكساء .

ومما يؤكده السيد محمد على أن الإسلام يزكى وحدة الزوج ويفضل هذا الزواج على كل زواج ، إلا أن الشرائع لا توضع لحالة واحدة ، والدنيا كما نراها عرضة لطوارىء الشذوذ والاختلال ومن هذه الطوارىء ما ينقص الذكور عدة ملايين ويزيد الإناث بمقدار هذا النقص فى عدد الذكور ، فضلا عن الزيادة التى تشاهد فى عدد النساء من كل أمة على وجه التقريب فى غير أوقات الحروب وإن تعدد الزوجات فى أمثال هذه الأحوال لخير من البغاء المكشوف ، فقد قبلت المرأة الأوربية مشاركة الخليلات المعترف بهن وقبلت مشاركتهن فى الخفاء ، وأصبحت هذه المشاركة نظاما إجتماعيا مقرراً لا معنى بعد قبوله وتقريره للاعتراض على تعدد الزوجات الشرعيات ، فهو على الأقل أصون للآداب وأكرم للنسل ، وأجمل بمنزلة المرأة من مهانة الابتذال ، وأصلح للاعتراف به فى علاقات المجتمع وقوانين الأخلاق .

تزكيها صحائف مطوية :

المساجد الجامعـــة

وأثرها فى حياة المسلمين وتربيتهم الدينية

للأستاذ أحمد رمزى

أول مايو ١٩٣٣ بانقرة . طيف وفلسفة ثورة :

كانت دعوة غداء شائقة تلك التى أقامها الأستاذ الكبير يد بك السلحدار ، وهو قائم بأعمال المفوضية الملكية المصرية ة ، لشرف حمد الله صبحى بك ، وزير تركيا المفوض فى نيا بمناسبة وجوده بالعاصمة التركية ، فجلس فى صدر المائدة يمينه الوزير المحتفى به ، وأمامه السيدة زوجة روشن أشرف ، وعلى يمينها صاحب السمو الملكى الأمير زيد بن الحسين وزير ق المفوض بتركيا ، ثم تلا ذلك ترتيب مقاعد غيرهم من رين . وامتازت هذه الدعوة على غيرها من الدعوات ، بما فيها من الأحاديث الشائقة التى اهتم كل من الحاضرين بتتبعها صغاء إليها ، وحرصت من جانبى على تدوين بعضها .

وكان ذلك فى يوم الاثنين الموافق أول مايو سنة ١٩٣٣ ، لكن اختيار هذا اليوم بالذات موضع تفكير وإنما جاء وليد دقة . وما أدراك ما أول مايو ، هو يوم عيد لطوائف العمال مختلف الأجناس والألوان ، علمنا بمقدمه من العلم الأحمر الذى كان يرفرف على بناء سفارة السوفييت ، إذ كانت حكومتهم أول دولة اعترفت رسمياً بهذا العيد وكانت بنايتهم أمامنا .

أما وكالات الأنباء والإذاعة فأخذت تتحدث عن الاجتماعات والخطب والمظاهرات التى سينفرد بها أول مايو . وأذكر أننى اعتكفت فى صباح ذلك اليوم فراجعت بعض مؤلفات « كارل ماركس » وصاحبه « انجل » وقلبت بين يدىّ صفحات مما كتبه رأس الثورة الروسية « لينين » وكنت مشغوفا به لدرجة أننى بحثت عن المنزل الذى كان يقيم به فى مدينة زوريخ من مدن سويسرة الألمانية ، وتعرفت على المقعد الذى كان يجلس عليه فى قاعة المطالعة بمكتبة جامعتها ، ولكثرة ما قرأت عنه وعن حياته لم تعد شخصيته غريبة عنى ، وكان من تكرر ما رأيته من صوره فى أوضاع مختلفة أن ثبتت صورته فى مخيلتى ، فإذا وضعت ذلك بجانب الكتب التى قرأتها عنه بمختلف اللغات صدق قول الأديب العربى : « والبحر وإن لم أره ، فقد سمعت خبره » فهو أمامى كلما تلوت فى كتبه ، برأسه الكبير وعينيه الصغيرتين الحادتين وفمه الجبار وبروز عظمتى الوجنتين وهذا الإسم الذى يحمله[1] ، أجدها دائماً شواهد تؤكد لى أصله الأسيوى المغولى المنحدر من سلالة الفاتحين التتار الذين سادوا أنحاء روسيا مدة قرون طويلة ، وصبغوها بلونهم وتركوا فيها آثارهم ودماءهم . وليس فى هذا ما ينقص من قدر الزعيم الروسى والمعلم الشيوعى ، إن لم يكن فى ذلك ما يزيد من قدره وما يرفع من شأنه كبطل أسيوى عالمى .

قلت خلوت صباح ذلك اليوم لنفسى وأطلقت لها العنان تحلق كما تشاء ، فأخذت أنتقل بالمطالعة من كتاب إلى كتاب غير مقيد بنظام أو قاعدة ، والوقت يمر سريعا حتى وقع ناظرى على جملة تقول : « هذا عصر تنظيم الجماعات وقيادة وتوجيه الحركات الشعبية الكبرى ، عصر عمل ونشاط وخلق وتصميم أكبر مظاهره سيطرة الإنسان بيديه القويتين على قوانين الطبيعة وإخضاعها لمشيئته وإرادته . تعالوا إلى الفلسفة المادية وارجعوا إلى المنهج التاريخى لكى تتفتح أذهانكم لآفاق بعيدة . إننا لا نؤمن بالعاطفة إلا إذا احتجنا اليها لمحاربة الجمود والرجعية ولتحطيم الأصنام المزيفة . »

والكتاب لطيف الحجم لا يتجاوز مائة وخمسين صفحة من ب اللغة الإنجليزية الصغيرة ، ولكنه واف بموضوعه متقن دائه واستدلاله ، ولا نعده من كتب التبشير التى تراد بها وة بين الأمم الأوربية وكفى ، فقد يحتاج المسلم لقراءته والتأمل سراميه ، ليعلم أن المذاهب المادية والدعوات السياسية التى خص عنها أفكار المبشرين بالإصلاح فى أوربة وأمريكا لا تحتوى أسانيد الإقناع ما هو أقوى وأجدر بالتأمل من هذه الأسانيد .

عباس محمود العقاد

(١) أولو يانوف . والجزء الأول منه تترى .

إيمان تظهره امرأة ، وامرأة يدعمها علمها :

وبينما أنا أقرأ هذا الكلام ، إذ قرع حاجب الفوضية الباب ودعاني لاستقبال الضيوف مع أستاذنا الكبير ، فقمنا للترحيب بهم . وبعد برهة اجتمعوا ودخلنا حجرة المائدة ، وقد رتبت أحسن ترتيب يدل على ذوق الداعي واهتمامه بالصغيرة والكبيرة من تنسيق واختيار وتدقيق في كل ما يقدمه لضيوفه . وما بدأت الخدمة حتى أخذ الحديث حمد الله صبحي ضيف الشرف ، وهو محدث من الطبقة الأولى يتناوله بأسلوب عذب وصوت هادىء ويعبر عن آرائه بالفرنسية وبالتركية ، فتكلم عن أمور مختلفة ، وأشياء متعددة ، ولفت الأنظار حينما أخذ يتحدث عن حياة المسلمين في رومانيا ، فأحاط بما هم عليه في وقته وما كانوا عليه في الماضي وما تنبأ لهم به في المستقبل ، وأشار إلى اللغة المستعملة في رومانيا وكيف تأثرت بالألفاظ التركية التي امتزجت بها ، وكثير من هذه الكلمات عربي الأصل ، دخلت وأصبحت من لغة يتكلمها الملايين من الناس ، ثم عدّد مساجدهم وعلماءهم وما هم عليه من التمسك بدين الإسلام وما يلقونه من حرية العقيدة والتسامح في القيام بشعائرهم الدينية ، بغير حرج ولا ضغط عليهم .

ثم رأيته انتقل فجأة لموضوع شائك وعر المسلك لا يجرؤ أحد من الأتراك أن يخوض فيه وقتئذ ، فقال : « إن الدين لازم لكل أمة وفي كل عصر » ثم استشهد بعقلية الشعب اليوناني الحديث ، فقال : « إن هذا الشعب الذي يجاورنا ونجاوره ويعاصرنا ، يستمد إلهامه ومثله العليا من ثلاثة منابع : تاريخه القديم ، وعصر بيزنطة والدين الأرثوذكسي . فهذه دعائم ثلاث لتفكيره ولمثله العليا ولحياته » .

وهنا التفتت السيدة زوجة دوشين أشرف بك ، وكان زوجها نائبا بالمجلس الكبير ثم وزيراً مفوضا وسفيراً ، وهو كاتب من ألمع كتاب الأتراك وأدبائهم ، وسبق أن شغل منصب الأمين العام لرئاسة الجمهورية في أول عهد الغازي كمال أتاتورك ، فأبدت الكثير من الشك في أقوال الوزير التركي وكان مما قالته : « هناك أشياء أخرى غير الدين ومبادئه ، تستلهمها الأمم في حياتها وجهادها ونهضتها ، ثم ما هو الدين ؟ أليس هو المثل الأعلى الذي يكونه الفرد منا لنفسه » ، وعبرت عن المثل الأعلى باللفظ التركي المستحدث .

أما حمد الله بك فاستمر في حديثه لا يبالي بالرد على ما يوجه إلى كلامه من اعتراض ، وكان صوته يعبر عن إيمانه العميق وشعوره بالألم والحسرة ، فخرجت كلماته وهي تلهب الصدور ، ولذلك بقيت عالقة بأذني ، قال : « نحن معاشر أهل الإسلام في أشد الحاجة إلى ما أسميه تربية المسجد ، وأقول بكل أسف إن المسجد لا يلعب في حياتنا الدور الذي تقوم به الكنيسة في حياة النصراني أو المعبد في حياة الإسرائيلي ، ونحن أحوج ما نكون إلى رجال الدين الذي يوفّق بعلمه وروحه وشخصيته وجرأته لأن يحيط المسجد أو الجامع بهالة من القدسية والاحترام ، وأن يتخذه مركزاً لعمله الروحي والاجتماعي ، الرجل الذي يمكن أن يطمئن الناس إليه في تربية النشء وتثقيفهم وتلقينهم قواعد الدين الصحيح وأسسه وفضائله . إن المساجد بيوت الله وبيوت العبادة وبيوت المسلمين فيجب أن تتجه أنظارهم إليها وأن تجمعهم وقت الصلاة وفي أعيادهم ومناسباتهم المفرحة والمحزنة ، وأرى أن تربية المسجد عنصر أساسي من عناصر نهضة المسلمين » .

وأخذ يشرح هذه الناحية بوجهة نظر جديرة بكل اعتبار وتقدير ، ويؤيدها بمنطق الرجل المسلم الشاعر بأهمية العمل الروحي ، والمؤمن إيماناً لا يتزعزع بقوة المبادىء والدوافع التي قامت عليها الرسالة المحمدية .

وكنا نشعر وقتئذ بما بين تركيا وروسيا السوفيتية من علائق الود والصفاء والتحالف ، وكنا نعرف أشياء عن محاربة البلاشفة للعقائد ولنظام الأسرة ، وكان الأتراك يقلدون الروس في أشياء ، ولكن حمد الله بك صرح بما يعتقد أنه الصواب بقوله « لا يمكن لمجتمع بشري يحترم نفسه أن يحارب الأسرة ، إذ هي الرابطة الأساسية الأولى التي تصل بين الفرد والمجتمع وبين الطبيعة والبشرية وبين المادة والروح » .

كنا نستمع إليه جميعاً ونحن نسلم بأن هذه الكلمات تخرج من وحي إيمانه وعقيدته فهي ليست من قبيل المجاملة ، بل نتيجة

يربطويل ورأى ناضج . وكان يتحدث عن الشعب التركي حديث يفيض قلبه بمحبة هذا الشعب الإسلامي الكبير ، كما يتحدث عن أعز بنيه أو أحب شيء لديه . وكان وطنياً بغير تعصب ، يا مع سعة صدر . واذكر أنه ختم كلامه بقوله : « ليس أصعب السياسي أو التصدر لقيادة نهضة أمة وهي في غمرات تحررها لتها ، من أن يلفتها كيف توفق بين الشعور بالوطنيـــة حيحة ومراميها وأهدافها المشروعة وما يلابسها من حماسة ف ، وبين الإيمان بمحبة الأمم الأخرى والأخذ بالتساهل والشعور بأهمية العمل في حقل التعاون الدولي وما يتطلبه تفاهم وتساند » .

إن قليلين من رجال السياسة الذين استقبلوا حوادث الزمن وا هذه النظرة ، وأن هذا المبدأ من المبادىء التي تحاول أن ها الأمم بعد الحرب العالمية التي انتهت أخيراً ، ولكني أنقلها ي من مذكرات عام ١٩٣٣ .

، هو الرجل ؟

لى هنا انتهى حديثه ، وانفض بعد ذلك جمع أناس من أهل ، والفضل ، كان أستاذنا الكبير توحيد بك السلحدار يعرف ب يجمعهم في دار المفوضية ، حينما مثل مصر تمثيلا عالياً ورفع بأنها ، وجعلها موضع احترام الأمة التركية وحكومة الجمهورية ، ن أول ممثل لدولة أجنبية جاء إليه رئيس الدولة ، وعُدّ ذلك لأتراك ورجال السلك الأوروبي وبين من يفهم من الناس ، ير توفيق حصل عليه ممثل دبلوماسي لمصر منذ أنشئت ت سياسية بين المملكة المصرية والجمهورية التركية .

وتعجب معي كيف يتحدث حمد الله صبحي بهذه الشجاعة ث يجاهر بآراء لا تتفق مع الرأي السائد لدى السلطات العليا يا ، ولكن الرجل القوي المخلص لمبادئه لا يبالي بأن يجهر يل وبما يشعر ، وكان حمد الله بك عالماً فاضلا ، والعلم قوة دافعة ع على صاحبها شجاعة وجرأة وثباتاً ، وكان تاريخه نقياً صافياً ، خدم بلاده أجل الخدم ، يوم كان زعيما لحركة « التورك نجي » وهي التي أيقظت غريزة الشعور القومي لدى شباب الأتراك ، ونفخت فيهم روحاً جديدة ، ومهدت الطريق لثورة مصطفى كمال التي قادتهم إلى حرب الاستقلال ، فهو رجل من صميم الشعب ، خرج من صفوفه وأمضى السنوات يعلّم الشعب ويلقنه ويقوده ، ولما اختلفت وجهة النظر بينه وبين الغازي سلّم لرئيس الجمهورية مقاليد الحركة ، التي أمضى عشرات السنين في بنائها وقنع بمنصب دبلوماسي خارج بلاده ، ولكنه يحن إلى الشعب التركي ويتحدث بفضائل الإسلام ويأبى أن يفرق بين الترك والإسلام ، ويجاهر بما يعتقد ولا يخشى إلا الله ، وتلك منزلة لا يرقى إليها كل الناس كما نعلم ونلمس لدينا .

كان ذلك في عام ١٩٣٣ وها نحن في عام ١٩٤٦ ، وقد مضت السنوات وتغيرت الأيام ، وتبدلت الأوضاع ، وبينما أكتب مقالا للرسالة عن مساجد الفسطاط ، وجدت مجلداً من مذكراتي اليومية ، فإذا أنا أمام حديث حمد الله بك عن تربة المسجد . فرأيت أن أنقله كما هو وأن أعلق عليه بما دار في خلدي طول السنين الماضية ، وأجعله تتمة لحديث الفسطاط ودمعتها الغالية على مساجدها وآثارها .

* * *

« يأيها النبي بلّغ ما أنزل إليك من ربك ، وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته والله يعصمك من الناس » (المائدة)

بهذه الآية الكريمة خاطب الله رسوله صلوات الله وسلامه عليه ، وأدى النبي رسالته ، فهل اتبع المؤمنون سنة رسولهم ، وقاموا بتبليغ الأمانة التي حملوها في هذا العصر الذي نعيش فيه ؟

إن الرسالة المحمدية للعالم قائمة ، فإذا أدّاها أصحابها ، نشروا بين الخلق تعاليم ومبادىء ودوافع تنفخ فيهم روحاً جديدة ، وتكون كشعلة لا يلبث ضياؤها أن يزيد يوماً بعد يوم حتى تعم أجزاء الأرض فتؤثر في حركة العالم وسيره وتطوره ، وفي تكاتف الأمم وتساندها وإخراجها من الظلمات إلى النور .

هذا هو إيمان كل مسلم دخل في زمرة طائفة المؤمنين ، وهذه آماله نعبر عنها ، ونحن على ثقة منها ؛ ولكن كيف الوصول إلى تحقيق ذلك ؟

(البقية في العدد القادم) أحمد رمزي

القنصل العام السابق لمصر بسوريا ولبنان

منطق الدماء البريئة

فى يوم الجلاء

للأستاذ ســـيد قطب

أيًّا كان الألم الذى يعتصر قلب كل مصرى لمنظر الدماء البريئة تراق ، والأرواح الطاهرة تزهق ، والبيوت العامرة تخرب ، وقلوب الآباء والأمهات تقطر دماً على فلذات الأكباد تخرج فى الصباح ولا تعود فى المساء !

أيًّا كان هذا الألم الذافق الحار فى حنايا كل مصرى لتلك الدماء البريئة التى أريقت فى « يوم الجلاء » الذى أرادته الأمة المسالمة تعبيراً بريئاً عن الحق الطبيعى فى إبداء الشعور ؛ وأراده المستعمرون القساة ، معركة دموية تهرق فيها الدماء !

أيًّا كان هذا الألم ، فإن له ثمنه الذى لن يضيع . فالدم هو عربون الحرية فى كل زمان ومكان ، والاستشهاد هو ثمن الكرامة على تغير الأزمان ، وإن لليوم لغداً ، وإن للحرية لفجراً ، وإن النصر لآت !

لا ، بل إن ثمن تلك الدماء البريئة لحاضر ، وإنا لنقبضه الآن

إن لتلك الدماء البريئة لمنطقاً واضحاً صادقاً ، يكذب ويجبه أولئك الكتاب المصريين والعرب أجمعين الذين وقفوا يناصرون الإنجليز فى محنتهم ، ويدعون لهم فى أمتهم ، ويقربونهم إلى قلوب مواطنيهم ، مأجورين أو مخدوعين . فالمخدوع فى حق أمته لا يبعد كثيراً عن المأجور .

وإن لتلك الدماء البريئة لمنطقاً واضحاً صادقاً يكذب ويجبه ، أولئك الزعماء والساسة من المصريين والعرب أجمعين ، الذين وقفوا يناصرون الإنجليز فى محنتهم ، ويؤدون لهم جميع الخدمات التى تكفل النصر ، دون أن يحصلوا فى ذلك الوقت حتى على وعد قاطع بالجلاء ، اعتماداً على شرف الضمير السياسى البريطانى المزعوم!

إن ثورة واحدة مدة ثمان وأربعين ساعة ، إبان معركة العلمين ، وتوالى الأمداد والذخائر ، ثورة واحدة تعطل المواصلات ، كانت كفيلة بترجيح كفة النصر ، وانقلاب وجه الحرب كلها — باعتراف القادة البريطانيين والأمريكان فى هذا الأوان — ولكن مصر لم تعطلها ، وثوقاً بشرف هذا الضمير المزعوم . ولم تنتفع بهذا الظرف فى قضيتها الوطنية ، ضعفاً ، أو جهلا ، من الساسة والزعماء المصريين!

ولقد ظل هؤلاء جميعاً : الكتاب المأجورون ، أو المخدوعون . والساسة الضعفاء ، أو الجهال ... ظلوا يسكبون فى سمع الأمة المصرية ، والأمة العربية كلها ، منطقاً زائفاً مدخولا عن الديمقراطيات الغربية ، وعن الضمير البريطانى ، وعن ميثاق الأطلنطى ، وعن الحريات الأربع ، وعن الحرية والإخاء والمساواة ، إلى آخر تلك الخدع الماكرة الآثيمة ، التى ألقاها الأقوياء للضعفاء ، فتلقفها هؤلاء ، وغنوا بها كالببغاء !

ظل هذا المنطق البائس المجرم يسكب فى سمع الأمة ، حتى انبعث أخيراً ذلك المنطق الحق الصارم ، الذى لا عوج فيه ولا خفاء . ذلك منطق الدماء !

انبعث هذا المنطق من جراحات الجرحى ، ومن طعنات القتلى ، فى ميدان الاسماعيلية ، وانطلق كذلك من أفواه البنادق الآثمة ، التى دوّت بالموت والجراح ، فى الأبدان والأرواح . فغطى هذا المنطق الحاسم الصارم ، على ذلك المنطق المريب الكذوب ، الذى ظل الكتاب المأجورون أو المخدوعون ، والساسة الضعفاء أو الجهلاء ، يسكبونه فى سمع الأمة ستة أعوام !

وإذا كان المنطق الزائف البائس ، قد وصل إلى سمع الأمة ووقف هناك ، فلقد اخترق المنطق الحق الحاسم سمعها ، واستقر فى قلبها ، ورددته ضميرها ... فهيهات هيهات أن تخدع بعد اليوم ! وهيهات هيهات أن تنسى منطق الدماء !

انتهينا ... انتهينا أيها الحلفاء ! ! !

لقد قبضنا اللحظة الثمن الغالى لتلك الدماء ! !

قبضناه وعياً وصحواً لن تخدرهما المخدرات ! قبضناه حزماً وعزماً لن تفلهما المغريات ! قبضناه احتقاراً ومقتاً لكل تلك الدعايات ! !

* * *

الحمد لله . لقد انكشف الغطاء !

انكشف فى مصر فى يومين خالدين فى تاريخها الحديث ،

على ما يثيران من ألم فاجع فى صـدور المصريين أجمعين : يوم ٤ فبراير المشؤوم . ويوم الجلاء ... المضمون !

وانكشف فى لبنان يوم انقضت السلطات الفاشمة الفرنسية على رئيس الجمهورية ووزراء الجمهورية ، فأودعتهم بطون السجون!

وانكشف فى سورية يوم انطلقت المدافع المتبرة تصب حممها على دمشق ، وتنثر الأشلاء ، وتقتل المجاهدين الأبرياء !

وانكشف فى فلسطين ، يوم قام « ترومان » يطالب بفتح أبواب الهجرة لمئة ألف من اليهود ، وقام « بيفن » يسحب كلمة « الشرف » فى الكتاب الأبيض ، ويبيح الهجرة للصهيونيين !

وانكشف فى أندونسيا يوم قامت القوات البريطانية ، تقتل الأندنسيين المسلمين ، وتسلط عليهم الفرق اليابانية ، وتزعم أنها جاءت لتجريد الجنود اليابانية !

إن النضال بين الشرق والغرب فى الحقيقة يثيره الإنجليز والأمريكان والفرنسيون والهولنديون ، على الشرقيين عامة ، والبلاد الإسلامية على وجه الخصوص

هذه عقيدة يجب أن تستقر فى ضمائر الشرقيين . فى ضمير الهنود والأندونسيين والمصريين والسوريين واللبنانيين والعراقيين والحجازيين والنجديين والفلسطينيين والطرابلسيين والجزائريين والتونسيين والمراكشيين ... وهم كما يرون حشد عظيم ، حين يواجهون الاستعمار الغربى متكاتفين .

إنه النضال ... والويل فيه للمتخاذلين !

* * *

وبعد ...

فبوركت هذه الدماء الزكية التى كشفت عن عيوننا القناع! بوركت هذه الدماء التى أسكتت بمنطقها الحق الواضح ، كل منطق مبهرج أو مدخول !

لقد ارتفعت صيحة الجلاء البريئة ، فقوبلت بصيحة الرصاص الأثيمة . هذا منطق ، وذلك منطق . ولقد شهدت الإنسانية فى مواقع كثيرة انتصار الصيحة الأولى مهما بدت ضعيفة ، على الصيحة الثانية مهما بدت عنيفة . بل لقد شهدنا نحن انتصارها فى عام ١٩١٩ .

هنالك فارق واحد بين الموقفين :

فى سنة ١٩١٩ كان على رأس الأمة سعد زغلول ، ولم يكن هـذا الرجل يعرف ذلك المنطق المخنث الضعيف . منطق الثقة بالضمير البريطانى المزعوم . وكان الشعب مثله لا يقر مثل هذا المنطق المضحك فى تلك الظروف !

فيا أيتها الأمة !

اعرفى طريقك ، واعرفى زعماءك ، واعرفى أبناءك !

انبذى كل من يحدثك عن ثقته فى الضمير السياسى البريطانى . فالضمير السياسى البريطانى هو هذا الذى يضربك بالرصاص ، لأنك تهتفين هتافاً سلمياً بالجلاء ! والذى يدعوك من أبنائك إلى الثقة بهذا الضمير ، يطعنك أشد من طعنات الرصاص ، لأنه يطعن ضميرك ، وهو ملاذك الأمين !

أيتها الأمة !

لقد هتفت مرة بالجلاء ، وإنه لهتاف مطرب رخيم ، وهتاف شريف كريم ... فاهتفى أيتها الأمة بالجلاء ، وصفق لمن يهتفون معك به من الساسة والزعماء ، على أن تكونى أنت الرقيب عليهم فيما يقولون وفيما يفعلون !

سيد قطب

الزواج والمرأة

للأستاذ أحمد حسين

منذ أصدر قاسم أمين كتابه عن تحرير المرأة لم يصدر كتاب ينصف المرأة ويوفق بين الدين ومقتضيات العصر ويعطى للمرأة كل حقوقها ويضع الأسس الخالدة لبناء الأسرة والوطن ويحارب الانحلال والتبذل كهذا الكتاب الذى ألفه الأستاذ أحمد حسين فى أبان إعتقاله .

طبع دار الكتب المصرية على أفخر أوراق الطباعة .

يطلب من مكتبة دار الكتب الأهلية بميدان الأوبرا بالقاهرة ومن جميع المكاتب الشهيرة ومن المؤلف ١٦٠ شارع محمد على بالقاهرة .

وثمن النسخة عشرون قرشاً والبريد ٥٠ مليما

مقالات في كلـــات

للأستاذ علي الطنطاوي

١ — حرية الكتابة

لست أدعو في هذه الكلمة إلى سلب الكتاب حرية الكتابة ، ولكني أدعو الى الإبقاء على حرية الناس في التدين والتخلق بكريم الأخلاق . وإن لكل حرية حدوداً ، لا ينبغي لها أن تعدوها ، وإلا كانت حرية المجنون الذي يفعل ما شاء وشاء له الجنون . أنت حر في دارك ولكنك لا تستطيع أن تتخذ منها أتوناً للفحم ولا ماخوراً للفجور ، ولا تستطيع أن تحرقها أو تنسفها بالبارود . وأنت حر في نفسك ولكنك لا تقدر أن تبسط سفرتك فتأكل في المحراب يوم الجمعة والناس في الصلاة ، ولا تقدر أن تلقي الصحون وتصلي على المائدة ساعة الوليمة في الحفل الحاشد ، أو أن تحضر المحاضرة بلباس الحمام ، أو أن تصرخ في المستشفى أو تغني في المأتم . وأنت حر في قلمك ، ولكنك لا تملك أن تدعو إلى هدم استقلال وطنك ، والخروج على قوانين بلادك . إنهم يمنعونك ويسكتونك ويضربون إن فعلت على يدك .

فلماذا لا يمنعونك أن تكفر بالله ، وتهدم الأخلاق ، وتخرج الناس على الدين ، والأخلاق أساس الاستقلال والدين أولى من القانون ؟ وكيف صح ذلك المنع ، وساغ ، ولم يمس حرمة هذه الحرية ، ولم ينل من قدسيتها ، ولا يصح هذا ولا يسوغ ولا يكون إلا عدواناً على حرية الكتابة ، وإلحاداً فيها .

أو ليس من عمل الحكومة الذي كانت من أجله الحكومات أن تقر الأمن والسلام في الأمة ، وتضمن لها العزة والسيادة بين الأمم ؟ إنه لا يكون أمن أو تكون عزة إلا بالخلق المتين وبالدين ، فإن ذهبا لم يخلفهما شيء ... وما القانون ؟ هو الشرطي ... فإن أمن العاصي أن يراه الشرطي أو يدري به القاضي ، أو يناله العقاب ، ركب في طريق الغواية رأسه فلم يرده شيء ، أما المؤمن فيردعه عن المعصية علمه أن الله مطلع عليه في سره وعلنه ، وأما صاحب الخلق فربما رده خلقه ، وعصمه الله به ، فلماذا نهدم بأيدينا هذين الحصنين ، وندع الضعف والهوان يدخلان علينا بدخول الإلحاد والفجور .

أو من العدل أن تحفظ الحكومة أموال الناس من اللصوص وتضيع عقائدهم ؟ وتحمي جسومهم من القتلة وتبيح قلوبهم ؟ وتقيم الحراس يحرسون البيوت والأثاث وتدع أعراض البنات وأخلاق الصبيان هملا يسرقها ويعبث بها ، كل صحفي مفسد ، وشاعر ماجن ، وكاتب خبيث ؟

سيقولون : حرية الكتابة ...

نعم إنها حرية ينبغي أن تصان وتضمن ، ولا يعتدى عليها ، ولا ينال منها ، ولكن الدين والأخلاق ، ينبغي كذلك أن يصانا وأن يضمنا ، وألا يعتدى عليهما ولا ينال منهما ، فإن تعارض الأمران ، فلنحمل أخف الضررين ، ولنقبل بأهون الشرين ، وأهونهما أن نخسر حرية الكتابة (أحيانا) لنحفظ الدين والشرف ، لا أن نخسر الدين والشرف لنحفظ (حرية الكتابة) ، ونقول لكل صاحب نحلة ضالة ، أو هوى خبيث ، أو رأي هدام : اكتب ما تريد ، واطبعه ، وهاته نقرأه على أبنائنا وبناتنا ، ونصبه في عقولهم وننشئهم عليه !

ونحن اليوم في مطلع حياة جديدة ، وقد غيرت هذه الحرب المقاييس ، وبدلت قيم الأشياء في أفهام الناس ، وكانت امتحاناً قاسياً للأمم ، لم تنجح فيه أمة فشا فيها الفجور ، وعمت الفاحشة وضعفت الرجولة ، ونسيت العقيدة ، ولن يدوم نجاح لأمة لا تزال تستهين بالعفاف ، وتميل إلى المجون ، وتؤمن بالكفر ... وحسبنا فرنسا مثلا معروضاً لكل ذي عينين تبصران وعقل يفكر ، فلنعتبر بغيرنا قبل أن نصير عبرة للمعتبرين ، ولنفهم حكوماتنا ، أنه لا حياة لنا إلا إذا أنشأنا من أبنائنا جيلا مؤمنا متين الخلق ، ظاهر الرجولة ، مقبلا على الجد ، عارفا بالواجب عليه ، فإذا تركت الحكومات الصحفيين والكتاب (أعني بعضهم) ينقض كل يوم حجراً من صرح الأخلاق ، ويوهي جانباً . وينشر في الناس حديث الشهوة البهيمية ، ويستكثر من القراء بإثارة أحط الغرائز البشرية ، لم ننشيء والله إلا جيلا رخواً ضعيفاً ، همه شهوته ، ومطلبه لذته ، قد ضاعت رجولته ، وذهبت قوته ... ثم نبني بهذا الجيل مجدنا ، ونقيم عزنا ، ونأخذ بين الأمم مكاننا !

إن المسألة أكبر من أن نلوك فيها هذه الألفاظ (حرية الكتابة) و (حرية الفكر) ... إنها مسألة حياة أو موت !

٢ — أمثلة على حرية الكتابة

وما فى نشر الفاحشة صعوبة ، ولا يحتاج إلى عبقرية أو بلاغة أو أدب أو نبوغ ، وحسب الرجل أن ينشر فى كتاب مايطوى فى الخلوة ، أو أن يظهر فى صورة ما يستر من العورة ، حتى ينال منه ماير يد.

فتجرأ الناس على الأدب ، واقتحموا حماه من غير أن يعدوا لذلك عدته من وقوف على اللغة وأساليبها ، واطلاع على صرفها ونحوها ، ونظر فى رسائل بلغائها ودواوين شعرائها . وفيم هذا العناء كله ، وأدب الشهوة ، لا يحتاج إليه ، ولا يعتمدعليه ؟وما هى إلا سهرة فى الخمارة ، أو ليلة فى (المرقص ...) حتى تجمع أسبابه كلها ومقوماته .

طبع فى دمشق منذ سنة كتاب صغير ، زاهى الغلاف ناعمه ملفوف بالورق الشفاف الذى تلف به علب (الشيكولاته) فى الأعراس ، معقود عليه شريط أحمر كالذى أوجب الفرنسيون أول العهد باحتلالهم الشام وضعه فى خصور (بعضهن) ليعرفن به ، فيه كلام مطبوع على صفة الشعر ، فيه أشطار طولها واحد ، إذا قسمها بالسنتمترات .. يشتمل على وصف ما يكون بين الفاسق القارح ، والبغى المتمرسة المتوقحة وصفاً واقعياً ، لا خيال فيه ، لأن صاحبه ليس بالأديب الواسع الخيال ، بل هو مدلل ، غنى ، عزيز على أبويه ، وهو طالب فى مدرسة . . . وقد قرأ كتابه الطلاب فى مدارسهم ، والطالبات .

وفى الكتاب مع ذلك تجديد فى بحور العروض ، يختلط فيه البحر البسيط بالبحر الأبيض المتوسط ، وتجديد فى قواعد النحو لأن الناس قد ملوا رفع الفاعل ، ونصب المفعول ، ومضى عليهم ثلاثة آلاف سنة وهم مقيمون عليه ، فلم يكن بد من هذا التجديد. ومع ذلك فقد قرأنا فى الجرائد من نحو شهر ، أن صاحب هذا الكتاب ، قد دعى إلى محطة الإذاعة فى القاهرة ، ليذيع منها شعره ، رغبة منهم بنشر الأدب السورى ، وتوثيقاً للتعاون الثقافى بين الأقطار العربية !!.

وها كم مثالا آخر ، هو الكتاب الذى صدر فى دمشق منذ عهد قريب ، واسمه (مختصر تاريخ الحضارة العربية) ، وقد وضع لطلاب المدارس الثانوية ، ونصف مباحثه ، فى القرآن وعلومه ، والحديث وفنونه ، والفقه أصوله وفروعه ، والكلام ، والفرق الإسلامية وعقائدها ، والذى راع صدور العلماء لما فيه من التخليطات التى يكفر بمثلها المؤمن ، ويجهل العالم ، ويضحك منه على ذقن قائله ، وألف مفتى الجمهورية لجنة للنظر فيه ، فنظرت فوجدت فيه من الغلطات ما لا ينتهى العجب من صدوره ممن ينتسب إلى العلم ولو من وراء خمسة جدود . . فكان مثال مؤلفيه فيه — كالنحوى إذا ألف فى علم التشريح ، والكيميائى إذا كتب فى فن التمثيل .

على أن النظر فى الغلاف إلى اسم مؤلفيه يبطل هذا العجب ، لأن أحدهما اسمه جورج حداد — والآخر اسمه من أسماء المسلمين ولا أعرف عنه ولا عن زميله شيئاً ، ولكن أبحاث الكتاب تدل على أن هذا المسلم أجهل بعلوم المسلمين من الخواجه جورج ! إنها (حرية الكتابة) ، فليتعلم طلابنا الأباطيل على أنها حقائق ، والأوهام على أنها الإسلام ، ويحفظوها ليؤدوها يوم الامتحان ، ما دامت هذه الحرية مصونة ، والكلام فى الحد منها عدوان على الفكر المقدس .

(دمشق) على الطنطاوى

إدارة البلديات — طرق

تقبل العطاءات بإدارة البلديات (بوستة قصر الدوبارة) لغاية ظهر يوم ١٧ مارس سنة ١٩٤٦ .

عن مناقصة رصف أفاريز بمدينة سوهاج وتطلب الشروط والمواصفات من الإدارة على ورقة دمغة فئة الثلاثين مليما مقابل دفع مبلغ ٠٠ جنيه و٥٠٠ مليم خلاف مصاريف البريد . ٤٩٧٤

الأدب فى سير أعلامه :

ملـــتن ...

[القيثارة الخالدة التى غنت أروع
أناشيد الجمال والحرية والخيال ...]

الأستاذ محمود الخفيف

— ٢ —

بين عهدين : منشأ البيوريتانية

وما ذلك المذهب الذى جر على أتباعه كراهة مخالفيهم زمنا ، والذى قدر له آخر الأمر أن يظفر بخصومه جميعا ويسيطر على البلاد حقبة من الزمن ؟

إذا أردنا أن نعرف كيف نشأت البيوريتانية فى إنجلترة ، وجب أن نرجع إلى تلك الحركة التى انبعثت فى أوروبا فى أوائل القرن السادس عشر ، والتى اصطلح المؤرخون على تسميتها الإصلاح الدينى ، فى هذه الحركة الإصلاحية أرومة البيوريتانية ، على أن نراعى فى نظرنا إلى حركة الإصلاح الدينى مشاعر الإنجليز التى هى نتيجة ما أحدثته بينهم من أثر فى ميولهم ومزاجهم وفلسفة حياتهم ؛ لنتبين كيف استجاب فريق منهم لدعوة الإصلاح ، وسوف نرى من ذلك أن استجابة هذا الفريق على نحو اختصوا به هو روح البيوريتانية ؛ فما كانت البيوريتانية فى إنجلترة إلا صورة معينة من صور الإصلاح الدينى العام الذى شملت دعوته أوروبا فى النصف الأول من القرن السادس عشر .

كانت هذه الحركة الإصلاحية ثمرة من ثمار النهضة الأوروبية العامة ومظهرا من مظاهرها ، فقد نفذ نور النهضة إلى كل ركن من أركان الحياة ومنها الدين ؛ وما كان لوثر بطل الدعوة الإصلاحية فى ألمانيا وأول رجل تحدى البابوية إلا معبرا فى الواقع عن معان وآمال كانت تهجس فى نفوس كثير من المفكرين غيره ، وإنما كان له فضل البدء والسبق فى مضمار الجهاد ، وكان بدء دعوته سنة ١٥١٧ .

وكانت دعوة لوثر فى جوهرها ثورة على دعوى البابوية أنها تحكم مفوضة من الله فى أمور الدين والدنيا ، وعلى امتيازات القساوسة وأطماعهم ، وعلى ما ورثته المسيحية من مظاهر الوثنية القديمة ؛ فهى من ناحية وثبة على سلطان الكنيسة ، ومن ناحية أخرى رغبة فى العودة بالدين إلى جوهره الخالص من شوائب البدع والضلالات ...

رأى لوثر أن فى وسع كل مؤمن أن يتصل بربه مباشرة لا عن طريق قسيس كما تزعم الكنيسة ، بل إن فى وسع كل امرىء أن يكون قسيسا إذا أخلص قلبه لله . وأنكر لوثر عقيدة الكنيسة فى العشاء الربانى إنكارا شديدا ، فما يقبل عقله أن صلاة القسيس لدى قربان من الخبز والنبيذ على المذبح تحيله فعلا إلى مادة المسيح نفسه لحما ودما . وطعن لوثر أشد الطعن على زعم البابا أنه يملك الغفران والحرمان ، وسخر أعظم السخرية من بيع الكنيسة صكوكا تمحو الذنوب والآثام . وخطا لوثر خطوة إيجابية فترجم الإنجيل إلى الألمانية ، وطلب إلى الناس أن يكون مصدرهم الإنجيل وحده لا تعاليم الكنيسة . وتداول الناس قراءة الكتاب المقدس بأنفسهم ولم يأخذوه عن القساوسة وشاع فيهم هذا الكتاب عامتهم وخاصتهم بفضل ما استحدث من وسائل الطباعة فرأوا مبلغ ما دخل على الدين من زيف ، وعجب الناس إذ وجدوا فى الإنجيل أن القديس بطرس نفسه لم يعصم من الخطأ وأنه أنب على أخطائه . وإذا كان هذا شأن بطرس القديس فما بال

رجال الدين ، وقد بعدوا عن المسيح وعهده هذا البعد الزمنى ، يزعمون العصمة لأنفسهم من الأخطاء ؟

وأمعن لوثر فى إظهار مبلغ ما صار إليه رجال الدين من إقبال على الدنيا وبعد عن الزهد ، فما يهم الرجل منهم إلا جمع الهبات والصدقات ، وإنهم ليديرون الأراضى الموقوفة على الكنيسة منذ الأقطاع ، ويشغلون أنفسهم بأمور دنيوية بحتة ، ويتدخلون فى الشؤون السياسية يطمعون أن تكون لهم سلطة كما للأمراء سلطة ، حتى لقد نسوا رسالتهم الروحية ولم يبق لهم من الدين إلا مظهر يتجلى فى ملابسهم وفيما يشخصون فيه من طقوس الأدعية والصلوات وما إليها مما لا يعد من جوهر الدين ولا من رسالته العليا . وألقى لوثر تبعة هذا الفساد على عاتق البابوات الذين ادعوا لأنفسهم السلطة الدنيوية فى العالم المسيحى أثناء العصور الوسطى مخالفين بذلك آباء المسيحية الأولين الذين كانوا يدعون ما لقيصر لقيصر وما لله لله ...

ولم يكن مرد ما أحدثه من عظيم الأثر فى ألمانيا ثم فى أوروبا كلها إلى آرائه وحدها ، ولكنه أثر فى الأذهان أعمق الأثر بمسلكه كذلك ؛ بهذه الجرأة البالغة التى خيل إلى الناس أنها أعظم من أن تكون صيحة بشر ؛ فهذا أحد رجال الدين يتحدى البابا ويسخر من الكنيسة ، وكان من يفكر بينه وبين نفسه أن أحد القساوسة يخطىء بله البابا نفسه يأثم بهذا إثما لا يمحوه إلا التوبة والندم !

وكثيرا ما يؤثر العظماء فى الناس بأعمالهم ولو لم يقولوا شيئا فتكون أبعادهم أبلغ من كل مقال ، وهذا لوثر يؤثر بقوله وعمله ، فهو لا يتردد أن يحرق رد البابا على آرائه ويفعل ذلك على أعين الناس ، ثم يقابل قرار البابا بكفرانه وطرده من رحمة الكنيسة ، بكل ما فى وسعه من عدم مبالاة وسخرية ... ويعد عمل لوثر هذا فى الحق فصلا رائعا فى تاريخ حرية الفكر منذ أن بدأ الناس يعشقون حرية الفكر وينادون بحرية الفكر ، وسيظل وثبته وقوته وجرأته حديثا عذبا تجرى به الألسن وتبتهج له النفوس كلما اتجه الناس بأذهانهم إلى ذلك الأمل الحلو ، وأعنى به انطلاق الفكر من قيوده ...

عصفت دعوة لوثر بسلطة الكنيسة وزلزلت مكانة القساوسة ومكنت لحرية الفرد أكبر تمكين ، فلكل امرىء الحق أن يفكر فى أمر دينه تفكيرا حرا لا يتقيد فيه بتقيد ؛ وكانت ترجمته للانجيل إلى الألمانية فتحا ونورا ، بهر العقول ، وحرك النفوس الجامدة ، وكشف للناس العقيدة الأولى نقية من شوائب الوثنية سليمة من ضلالات الكنيسة .

وما لبثت دعوة الإصلاح أن نهض بها زعماء غير لوثر ، نخص منهم بالذكر كلفن الفرنسى الأصل الذى أحدثت آراؤه من عميق الأثر فى أوروبا كلها ما لم تبلغ إلى مثله آراء لوثر نفسه .

وقد بدأ هذا الداعى دعوته سنة ١٥٣٣ ، وكانت أول خطوة خطاها هى توجيه الطعن إلى كنيسة روما وإظهار معايبها على نحو ما فعل لوثر .

ولئن أثر لوثر بأقدامه وحميته وتحديه وفصاحته ، فلقد أثر كلفن بفلسفته القوية ، ومنطقه الصارم الواضح ، الذى لا عوج فيه ، ثم بمبادئه الخلقية التى استمسك بها ولم يسمح فى تنفيذها بأية هوادة .

آمن كلفن بعقيدة القدر المحتوم ؛ فكل إنسان مقدر عليه أمره من قبل أن يُبرأ ؛ والناس من أجل ذلك فريقان : فريق هدى وفريق حقت عليه الضلالة . وليس يتسنى فى هذا العالم أن نعرف من هم أهل النعيم ومن هم أهل الشقاء ، أعنى لا نستطيع أن نحكم على امرىء أمن الذين شقوا هو أم من الذين سعدوا .

وإذا كان لوثر قد مكن لحرية الفرد وشعوره بذاتيته وكيانه ، فانه فى الوقت نفسه مكن لسلطة الأمراء ، وذلك لأنه استعان بهم واعتمد عليهم واستغل رغبتهم فى التخلص من سلطان الكنيسة ومطالب الكنيسة . أما كلفن فقد كانت فلسفته ترمى إلى التحرر من كل سلطة استبدادية ، سواء أتمثلت فى الكنيسة أم فى الأباطرة والملوك والأمراء ؛ وكانت نزعته ديموقراطية ترمى إلى الاعتماد على جمهور الناس ، وكان يرى أن القوى هو الله وحده ، وأن الحاكم هو الله وحده ، وأن الذى يخشى هو الله وليس غير الله ؛ فالناس جميعا ملوكهم وسوقتهم أمام قوة الله سواء ، وليس على الأرض من يتمتع بما يسمى حقا إلهيا ، وإنما الحاكمون هم ممثلو إرادة المجموع ، وكان يرى بآرائه هذه إلى تدعيم نظامه الكنسى الذى كان قوامه قوما يختارون من عدد من القساوسة وعدد من غير رجال الدين لإدارة الكنائس الكلفية ، فلا سلطة على كنائسه لبابا ولا لأمير .

وثبتت عقيدة الخوف من الله وحده فى نفوس أتباعه عدم الخوف من غيره ، بل والتمرد على كل مستبد من ذوى الطغيان ؛

ولـكن إذا كانت هذه الحرية حقا للفرد ، فعليه فيما يقابلها واجب يتلخص فى اتباع المبادىء الخلقية التى رسمها كلفن ، وكان صارما كل الصرامة فى تنفيذها . وعنده أن الفضائل تطلب لذاتها أولا قبل أن تطلب طمعا فى ثواب أو خوفا من عقاب .

حرم كلفن الخمر والميسر والرقص والخلاعة وأعمال السحر والشعوذة والربا الفاحش وفرض لـكل منها عقوبة صارمة وجعل عقوبة الزنى الموت ، وكانت وظيفة كنائسه إرشاد الناس ومراقبتهم وأخذهم بالشدة إذا فرطوا فى جنب الفضيلة .

شاعت اللوثرية والـكلفنية فى أوروبا ، ثم انتقلت آراؤهما إلى إنجلترة ؛ فـكان أثرها هناك على صورة خاصة توضحها مشاعر الإنجليز وأثر البيئة فى تلك المشاعر .

ونقصد بأثر البيئة الطبيعية وما يتصل بها من مؤثرات مناخية ، فما لا شك فيه أن لهذه البيئة فعلها فى تـكوين مزاج أهلها على نحو معين ، ثم يأتى فعل الوراثة متمما لفعل البيئة فتـكون مشاعر الأمة بمرور الزمن وهذه المشاعر هى مزاجها العام .

وكان لبيئة الضباب والسحاب والبرد الشـديد والأعاصير الهوج والغابات الموحشة والبحر المخوف أثرها فى بث نوع من الظلمة العابسة والجد الصارم يشبه أن يكون كآبة فى مشاعر الإنجليز والأمم التيوتونية على العموم ؛ وقر فى مشاعرهم أن سعوبة الحياة وقسوتها ضرب من القدر يقاوم فى شجاعة وتحد ، ويذعن له فى رضى واستسلام ؛ وذلك على خلاف ما كان فى الطرف الجنوبى الشرقى لأوروبا مثلا حيث الشمس والدفء والنور كانت تبث المرح والحيوية فى مشاعر الأغريق ، وتميل بهم إلى متع الحياة ومسراتها .

فلما تحررت العقول نتيجة للنهضة الأوروبية العامة ، لم يكن عجبا أن يتجه الإنجليز بعقولهم المحررة إلى أمور الدين أكثر مما اتجهوا إلى مسائل العلم والفلسفة والفن ، وأحدثت آراء كلفن أثرها العميق فى نفوسهم وعلى الأخص رأيه فى القدر المحتوم الذى لا سبيل قط إلى تغيير حكمه .

وعم تيار النهضة فمعر الحياة العامة وأشاع فيها البهجة والمرح والجمال والزينة ، والرغبة فى الاستمتاع بجمال الحياة ولذاتها ، فكان منه ربيع حافل يتمثل فى العصر الأليزابيثى أو عصر شكسبير

ولـكن الربيع لم يطل ؛ وما ذلك إلا لأنه كان أمرا طارئا على مشاعر الأمة غريبا على مزاجها العام. وما أسرع ما استيقظت تلك المشاعر من حلم العصر الأليزابيثى فـكانت يقظتها هى البيوريتانية وفلسفتها التى أخذت تسيطر على المجتمع الإنجليزى . والفرق بين ما أنتجته العقول فى الأدب والفن فى العصر الأليزابيثى أو عصر شـكسبير وبين ما أنتجته فى العصر البيوريتانى أو عصر ملتن ، يرينا مدى التغير الذى أخذ يطرأ على الحياة بعد حلم النهضة. ولقد لوحظت شواهد ذلك التغير فى فن شـكسبير نفسه فى أخريات أيامه ، ونجد أمثلة لذلك فى روايتيه «العاصفة» و«قصة الشتاء».

هذه اليقظة من الحلم البهيج الفاتن ، أو هذه الفلسفة التى عادت بمشاعر الأمة إلى طبيعتها هى روح البيوريتانية ، ولـكن رد الفعل كان شديدا ؛ فداخل الحياة الإنجليزية نوع من التزمت الشديد كان أكثر مما تطيق النفوس فى مواطن كثيرة ، والبرهان على ذلك ما شاع فى الأمة من سرور مع الملـكية العائدة بعد زوال عهد كرمويل .

وقد رأينا كيف ظهر البيوريتانز كجماعة أول الأمر حين أصدرت الملـكة إليزابث مرسوم توحيد العبادات عام ١٥٥٩ ، ورأى فريق من رجال الدين أنه كان ينبغى أن يكون الرسوم أكثر تخلصا من مظاهر روما والـكنيسة البابوية ، فهؤلاء هم البيوريتانز . ونستطيع أن نلمح أثر اللوثرية والـكلفنية فى رغبة هذا الفريق فى التخلص من مظاهر الـكنيسة البابوية . ولقد كان لغضبة هنرى الثامن على البابا وفصله كنيسة إنجلترة عن كنيسة روما أثره كذلك فى نفوس هذا الفريق ؛ فلئن كان ذلك الفصل من حيث الرياسة فحسب ، مع بقاء العقيدة الكاثوليكية وطقوسها على ما هى عليه ، إلا أنه زعزع هيبة البابا فى نفوس الإنجليز إلى مدى واسع ، وجعل نزعة الإصـلاح تستند إلى دعوى مشايعة السلطة الحاكمة ضد البابوية .

وأخذ يزداد عدد هؤلاء الذين رغبوا فى التخلص من مظاهر البابوية ، وأخذت تشيع فيهم مبادىء الإصلاح الدينى العام وعلى الأخص آراء كلفن وتعاليمه الخلقية ، فلم ينته القرن السادس عشر حتى كان منهم فئة دينية رأينا كيف سميت باسم البيوريتانز ؛ وأصبح لهذه الفئة نظرة إلى الحياة خاصة بها ، لا فى العقيدة الدينية وحدها ، ولـكن فى السياسة كذلك وآداب المجتمع والأدب والفن ؛ ولما تم لهم السيطرة السياسية استطاعوا أن يأخذوا المجتمع بمبادئهم أخذا قويا لا هوادة فيه ، ولـكنهم غلوا فى تلك المبادىء غلوا كبيرا حتى تجاوزوا ما تطيقه مشاعر الأمة .

(يتبع)

العفيف

الكذب والنسيان

كما يراهما « أبو العلاء المعرى »

للأستاذ كامل كيلانى

[تتمة ما نشر في العددين السابقين]

١٨ — شعر الضب :

ويندد فى رسالة الأغريض بالرواة الكاذبين فيقول : « وقد دى بأبى يوسف — رحمه الله — الاجتهاد فى إقامة الاستشهاد ، تى أنشد رجز الضب ، وإن معداً من ذلك لجد مغضب . أعلى ساحته يستعان بالقرض ، ويستشهد بأجناس الأرض . ما رؤية ده بنضير ، فما قولك فى ضب دامى الأظافير.

١٩ — كذب النجوم

وقد خشى أن يصل الكذب إلى الكواكب والنجوم فقال :

فياليت شعرى هل تُراعُ من الروى
وتركَعُ نُسكا بالمشاء وبالظهر

تكذب أن المين فى آل آدم غرائز جاءت بالنفاق وبالمهر

٢٠ — حديث مهلهل

ويسأل عدى بن ربيعة المعروف بمهلهل التغلبى ، أخبرنى سميت مهلهلا فقد قيل إنك سميت بذلك لأنك أول من هلهل شعر ، أى رققه . فيقول : إن الكذب لكثير . وإنما كان لى خ يقال له امرؤ القيس ، فأغار علينا زهير بن جناب الكلبى ، بيه أخى فى زرافة من قومه ، فقال فى ذلك :

توقل فى الكراع هجينهم[1] هلهلت[2] أثأر مالكا أوحنبلا

كأنه باز ، علتـــه كبرة يهدى بشكته الرعيل الأولا

فسمى مهلهلا ، فلما هلك شبهت به ، فقيل لى مهلهل . يقول الآن شفيت صدرى بحقيقة اليقين .

(١) يعنى بالهجين : زهير بن جناب .

(٢) هلهلت : قاربت .

٢١ — حديث المرقشين

ويسأل المرقش الأكبر عن الأبيات التى يرويها له بعض الناس :

« تخيرت من نعمانَ عودَ أراكة
لهنـد ، ولكن من يبلغه هندا

خليلى جوزا — بارك الله فيكما وإن لم تكن هند لأرضكما قصدا

وقولا لها : ليس الضلال أجازنا ولكننا جُزْنا لنلقاكم عمدا»

ويقول له : ولم أجدها فى ديوانك ، فهل ماحكى صحيح عنك ؟» فيقول المرقش : « لقد قلت أشياء كثيرة ، ولكنى سرقتها (أى : غفلت عنها وجهلتها) لطول الأبد .

وينعطف إلى المرقش الأصغر ، فيسأله عن شأنه مع بنت المنذر ، وبنت مجلان ، فيجده غير خبير ، قد نسى لترادف الأحقاب . فيقول : « ألا تذكر ما صنع بك جناب . فيقول : وما صنع جناب ؟ لقد لقيت الأقودين (أى : الدواهى) وشربت الأمرّين .

٢٢ — نطق اللسان

ومن أبرع ماقاله فى التنديد بالكذب قوله فى رسالة الغفران : « وإذا رُجع إلى الحقائق فَنُطْقُ اللّسان ، لا يُنبىء عن اعتقاد الإنسان ، لأن العالم مجبول على الكذب والنفاق . ويحتمل أن يظهر الرجل بالقول تديناً ، وإنما يجعل ذلك تزيناً ، يريد أن يصل به إلى ثناء ، أو غرض من أغراض الخالية أم الفناء . ولعله قد ذهب جماعة هم فى الظاهر متعبدون وفيما بطن ملحدون . ومايلحقنى الشك فى أن « دعبل بن على » لم يكن له دين ، وكان يتظاهر بالتشيع ، وإنما غرضه التكسب ، وكم أثبت نسباً بتنسب .

ولا أرتاب أن دعبلا كان على رأى الحكمى وطبقته . والزندقة فيهم فاشية ومن ديارهم ناشية .

٢٣ — الكذب الفنى

أما الكذب الفنى الذى كان يضطر إليه الخيال ، فقد أبدع شاعرنا فى الاعتذار عنه فى مقدمة سقط الزند — كما قلت فى

رسالة الهناء — حين عرض لتسويغ اضطراره إلى حذف أسماء من غالى فى مجاملتهم ، وأسرف فى تخيل المزايا الباهرة التى تحلها إياهم فى قصائده ، معتذراً عما ارتكبه من الشطط بأنه لم يعن أحداً منهم بما قال ، ولم يقصد — بما نظم فى ربان الحداثة (أول الشباب) وجنّ النشاط (شدة المرح) إلى غير مرانة الطبع ورياضته ، ثم شفع ذلك الاعتذار بآخر فقال : « ولم أطرق مسامع الرؤساء بالنشيد ، ولا مدحت طالباً للثواب ، وإنما كان ذلك على معنى الرياضة وامتحان النُّوس (الطبع) فالحمد لله الذى ستر بِشُفَّةٍ من قوام العيش ، ورزق شُبْعَة من القناعة أوفت على جزيل الوفر » .

* * *

ولكنه لم يلبث أن عزف عن هذا الباطل ، ونفر طبعه من تلك الأكاذيب فهجر الشعر قائلا فى مقدمة سقط الزند : « ثم رفضته (يعنى الشعر) رفض السَّقب غرسه ، والرأل (ولد النعام) تريكته (بيضته التى خرج منها وهو فرخ) ، رغبة عن أدب معظم جيده كذب ، ورديئه ينقص ويجدب (يعيب) . وهنا يقول : « وما وجد لى من غلو ، عَلِق — فى الظاهر — بآدمى ، وكان مما يحتمله صفات الله — عز سلطانه — فهو مصروب إليه .

وقد أخذ نفسه — فى قابل أيامه — بهذا العهد فوقف تمجيده وإجلاله على خالقه وحده ، كما ترى ذلك فى اللزوميات ورسالة الغفران ، والفصول والغايات .

٢٤ — المثل العليا

وقد أشار فى تلك المقدمة النفيسة إلى مبدأ جليل ما أجدر محبى الأدب العربى أن يتنبهوا إلى خطره ونفاسته ، فآثر أن يوجه مدائحه إلى المثل العليا — حيثما وجدت — فى أفذاذ الوهوبين ، من سالف القدامى الغابرين ، وقابل الذرارى القادمين ، فقال : « وما صلح لمخلوق سلف من قبل ، أو لم يخلق بعد ، فإنه ملحق به » . ثم أعلن براءته مما جح به طبعه ، فقال مستغفراً نادماً : « وما كان من محض المين لاجهة له ، فأستقيل الله العثرة فيه » .

ثم وصل إلى ذروة التوفيق فى تعليل الكذب الفنى وتسويغه ، فقال : « والشعر للخلد ، (للنفس أو القلب) مثل الصورة لليد : يمثل الصانع ما لا حقيقة له ، ويقول الخاطر (القلب) ، ما لو طولب به لأنكره » .

ثم لخص دستور الشعراء ومن ألف لفهم من رجال الفنون فقال : « ومطاق — فى حكم النظم — دعوى الجبان : إنه شجيع ، ولبس المِزهاة ثياب الزِّير ، وتحلى العاجز بحيلة الشهم الزميع (النشيط الجرىء) » .

* * *

ومما نقبسه فى هذا الباب قوله فى رسالة الشياطين ١٣٩ : وزعم صاحب المنطق فى كتابه الثانى من الكتب الأربعة : أن الكذب ليس بقبيح فى صناعة الشعر والخطابة . ولذلك استجازت العرب أن تقول فتفرط ، وتسرف فى الشىء فتفرق .

كامل كيلانى

إدارة البلديات — مبانى

تقبل العطاءات بإدارة البلديات (بوستة قصر الدوبارة) لغاية ظهر يوم الخميس ٢٥ أبريل سنة ١٩٤٦ عن عملية الأعمال الاعتيادية لمصحة فاروق الأول التذكارية بالقصاصين وتطلب الشروط والرسومات من الإدارة على ورقة دمغة من فئة الثلاثين مليماً نظير دفع مبلغ ٤٠ جنيه أربعون جنيها مصرياً بخلاف مصاريف البريد .

٤٩٦٤

لسطينيات :

أخيـــال أم حقيقة ؟

فلسطين بعد ربع قرن !..

الأستاذ نجاتى صدقى

سيقول ولدى : أذكر أنى فى ليلة من ليالى الشتاء القارس مت إلى جانب والدى وقد أحاطنى بذراعيه وكان يمتحننى فى ى ، ولما تطرقنا إلى الجغرافيا وأوضاع الدول والأمم ، سألنى ية سنة تم تقسيم فلسطين يا بنى ؟. فأجبته على الفور : سنة ١٩ يا والدى ! .

فربت على كتفى وقال : عافاك الله ، حقاً إنك لتلميذ نبيه ، كن هل طالعت شيئاً عن تاريخ ذلك التقسيم وكيف حصل ؟ قلت : قرأت فى كتاب تاريخ فلسطين للأستاذ سعيد الزيتاوى در فى يافا سنة ١٩٦٥ ، والذى أقرته وزارة المعارف العربية سطينية ، أن مشروع التقسيم لاقى وقتئذ مقاومة عنيفة من ب واليهود على السواء . وكانت وجهة نظر العرب فى ذلك كما زها الأستاذ الزيتاوى فى كتابه تتلخص فى أن الموافقة على سيم يعنى الاعتراف بحقوق اليهود فى جزء من فلسطين ، وإنه ل اليهود حق إقامة دولة لهم فى أراضيهم ، وتأليف جيش ، ح باب الهجرة إليها على مصراعيه ، ثم إنه يمكنهم من تصميم ثباعات فى دولتهم الأمر الذى يهدد كيان الدول العربية تصادى ، وأن الدولة اليهودية فى ذلك الجزء من فلسطين سبح الخنجر الأول للرأسمال الأمريكى فى الشرق الأوسط ا.. أنها ستكون مصدر متاعب لا نهاية لها للجمعية العمومية لية ، ولمجلس الأمن العالمى ! .

وهنا قاطعنى والدى وقال : ولكن ألم يكن اليهود أحراراً ل أبيب والمستعمرات اليهودية ؟. ألم تكن لهم مجالسهم ية ، وصناعاتهم المحلية ، ومدارسهم الأهلية ؟ وهل كان العرب يتدخلون فى شئون اليهود الخاصة ؟ أو هل كان بمقدور أية أسرة عربية أن تسكن تل أبيب ؟ . أو هل كان يحق لعربى أن يقيم له حانوتاً فى مستعمرة (بنى براك) مثلا ؟ إذن كان التقسيم واقعاً فعلا قبل سنة ١٩٥٠ ، وكل ما فعلته لجنة التقسيم الدولية أنها خططت الحدود ، وعينت منطقة الحرام !..

ارتبكت لدى سماعى اعتراض والدى هذا والتزمت الصمت ، إلا أنه ابتسم وقال : يظهر أن معلومات الأستاذ الزيتاوى كانت غير كافية ، فجاء كتابه التاريخى هذا ناقصاً ، وهذا عيب لا يغتفر للمؤرخ النزيه .

واسترسل والدى قائلا : شرحت لى وجهة نظر المعارضين من العرب لمشروع التقسيم ، فهل لك الآن أن تبين لى وجهة نظر ذلك الفريق من العرب الذين أيدوا مشروع التقسيم بواسطة حزبهم المعروف بحزب الديمقراطيين الأحرار العرب ؟..

قلت : روى لنا الأستاذ الزيتاوى فى الصفحة ٩٧ من كتابه المذكور ، أن أنصار التقسيم من العرب رأوا فى التقسيم الحل الوحيد للقضية الفلسطينية ، لأنه يضع حداً فاصلا للمطامع الصهيونية ، ويمكن العرب من إقامة دولة مستقلة لهم فى فلسطين ، فيضربون حولها نطاقا حديديا ، قوامه الخنادق ، والمخافر ، والاسلاك الشائكة المكهربة ، والجيش العربى الفتى المتيقظ المجهز بأحدث الأسلحة ؛ ثم إن العرب إذا ما رأوا أنفسهم فى جوار دولة مالية صناعية مخيفة ، تمسكوا بناموس المنافسة والتطور ، واستنجدوا برؤوس الأموال العربية ، وأرسلوا أبناءهم إلى البلاد الراقية ليتخصصوا فى مختلف العلوم والصناعات ، وهكذا فلا تنقضى حقبة من الزمن حتى يكون العرب قد أقاموا فى فلسطين مجتمعاً عربياً راقياً فاضلا تتضاءل إزاءه أخطار الدولة اليهودية ، ويصير مصيرها إلى التلاشى ، أو إلى البقاء فى الشرق كما هى إمارة لمتنشتاين فى الغرب !..

قال والدى : أحسنت الجواب ... لكن هلا حدثتنى عن موقف اليهود من مشروع التقسيم وكيف قبلوه ؟

قلت : هذا ما افتقر إليه كتاب الأستاذ الزيتاوى ولم يتطرق إليه إلا لماماً ، وأذكر أنه قال : إن غلاة الصهيونيين عارضوا

تحقيق علمي واستنتاج

الأبيـــوردي . . .

ولادته ووفاته

للأستاذ ممدوح حقي

تتجه أكثر عناية مؤرخينا القـــدماء إلى تعيين وفاة من يؤرخون ، وقد يقدرون عمره يوم وفاته أحياناً ولكن ذلك نادر ، أما يوم ميلاده فأقل ما يأبهون له أو يتحرون صـدقه . وإنك لواجد كتاب وفيات الأعيان وفوات الوفيات ولكنك لا تجد كتاب ميلادهم غالباً . ومع هذا فإن الاختلاف على سنى الوفاة عظيم جداً قد يبلغ الخطأ فيـه أحياناً نصف قرن ، ووفاة أبي المظفر الأبيوردي مثال لهذا الاختلاف بينهم ، فابن خلـكان ومن نقل عنه يعينون سنة وفاته في عام ٥٥٧هـ . وياقوت ومن روى عنه يعينونها في عام ٥٠٧ هـ . ولقد قرأت كل من ترجم للأبيوردي من قدماء ومحدثين مما عثرت عليه مخطوطاً ومطبوعاً ، فلم ألق واحداً تنبه لهذا الاختلاف بله أن يبحثه ويحققه مع طول المسافة بين التاريخين وانفساح مجال البحث فيهما ، فدائرة معارف البستاني وشارح الديوان والزركلي الشاعر في أعلامه من المحدثين يتبعون رأي ابن خلـكان ولعلهم نقلوا عنه ساهين سهوة العلماء ، ودائرة المعارف الإسلامية تؤكد رأي ياقوت ، فأيهما الصحيح يا ترى ؟ أو أيهما أقرب إلى الصحة إن شئنا التوفيق ؟!

إن في تحليل الوقائع التاريخية شفاء من هذا الكسل العقلي ، ولنقرأ ديوان الشاعر نفسه ، ونتجه إلى من مدحهم أو اتصل بهم ، فإن تجاوز أحدهم نصف القرن السادس ، فالأبيوردي زميله .

وأكثر قصائد شاعرنا في المقتـدي (توفي عام ٤٨٧ هـ) والمستظهر (توفي عام ٥١٢ هـ) ونظام الملك (قتل عام ٤٨٦ هـ) وعميد الدولة (قتل عام ٤٩٣هـ) وسيف الدولة صدقة بن دبيس (قتل عام ٥٠١ هـ) وشيرويه (توفي عام ٥٠٩هـ) .. فهؤلاء جميعاً ، ماتوا حول أواخر القرن الخامس وأوائل القرن السادس مما يؤكد

مشروع التقسيم بشدة . فمنهم من نعته بـ (غيتو) يهودي كبير ، ومنهم من قال إن الدولة اليهودية بمقتضاه تكون بمثابة (معتقل) المهاجرين اليهود ! وإن المهاجرين لن يجدوا متسعاً لهم في تلك الرقعة الضيقة ، فيزاحم بعضهم بعضاً ، فيتنغص عليهم عيشهم ، وتتحول دولتهم إلى جحيم لا يطاق ! أما أنصار التقسيم منهم ، فدحضون هذه المخاوف بقولهم : ستنمو الدولة اليهودية عمودياً لا أفقياً !

فقاطعني والدي قائلا : وما الذي تفهمه بالنمـو العمودي لا الأفقي ؟

تلعثمت بالجواب ، واحمر وجهي خجلا ، وقلت : لا أدري!

فقال : عيب عليك أن تتلفظ باصطلاحات وأنت تجهل معناها أأنت ببناء ؟ فالتطور العمودي هي ناطحات السحاب التي تراها اليوم في بعض مناطق الدولة اليهودية المجاورة ، والتي أقامها أصحابها لضيق الرقعة ، وكثرة السكان ... أما التطور الأفقي ، فهو التوسع على حساب الأراضي العربية ، وهذا غير ممكن ، لأنه يؤدي إلى وقوع حرب بين الدولتين ، لن يسمح بها مجلس الأمن الدولي !

وإذ هم والدي بطرح أسئلة مضنية أخرى ، طرق باب الدار ، وكان الطارق السيد عبد الحليم الملاح صاحب جريدة (الكوكب) وكان من عادته أن يسهر ووالدي ويتبادل وإياه أطراف الأحاديث . فرحب به والدي كعادته ، وأجلسه على الأريكة إلى جانبه ، وكان مدار حديثهما أخبار الحدود ، فروى السيد الملاح خبر اكتشاف قوة الحدود العربية نفقاً نقبه اليهود تحت الحدود ، كانوا يهربون منه البضائع المصنوعة في تل أبيب ، وأن مصلحة الجمارك اليهودية القائمة بالقرب من مرج بني عامر أو (إيلك) ، صادرت سلماً عربية غير مجركة ، وأن عربياً حاول الانتقال من يافا إلى تل أبيب بلا جواز سفر ، فاعتقل وظل طيلة يومه في استجواب مستمر ، ولم يفرج عنه إلا بعد أن أثبت للمسئولين أنه يجهل وجود دولة يهودية مجاورة ، وما إلى ذلك من أخبار الحدود المتعاقبة يومياً !

وهنا أخذني النعاس ، واستغرقت في نوم عميق ، تاركا والدي وصديقه يتناوبان أحاديث السهرة ...

نجاتي صدقي

أى ياقوت أن وفاة شاعرنا كانت سنة ٥٠٧ هـ إذ كانوا كلهم معاصريه .

ولو قبلنا رأى ابن خلكان لأضعفه الحساب التالى : نفترض أن الأبيوردى اتصل بالمقتدى — وهو أول خليفة اتصل به الشاعر — وعمره لم يتجاوز الثلاثين ، فيكون عمره يوم وفاته نحو مئة عام ، والمسافة بين رأى ياقوت وابن خلكان نصف قرن لنضبط فكيف أنفقها الشاعر ؟ وبمن اتصل مادحاً أو مصاحباً ؟! نحن لا نجد لذلك أثراً فى ديوانه وكله بين أيدينا ، اتفق عليه كل من أرخه بأنه هو نفسه نسقه ونظمه بيده وقسمه إلى فصول ثلاثة سماها : النجديات والوجديات والعراقيات . نعم لا نجد إلا قصيدة واحدة رثى بها الملك أحمد معز الدين المتوفى عام ٥٥٢ هـ[1] فيكون عمره يوم نظمها — على الحساب المتقدم — خمساً وتسعين سنة . ولو رجعنا إلى القصيدة ، لوجدنا فيها روح شاب متفلسف لا روح شيخ هرم وضع قدميه على حافة القبر . فنحن هنا بين أمرين : إما أن نقول بأن القصيدة مدسوسة عليه — وهذا رأى يجوزه النقد — وإما أنها له لكنها قيلت فى إنسان آخر اسمه أحمد عاصره الشاعر . ونحن إلى الرأى الثانى أميل ، لأن روح الأبيوردى ترفرف عليها فى كل مقطع (ولعله أحمد بن مروان صاحب الموصل المتوفى عام ٤٥٣ هـ بعد أن حكم إحدى وخمسين سنة وكان كعبة شعراء زمانه) .

هذا وإن من أوائل من نوه بالشاعر ، تاج الإسلام ابن السمعانى المتوفى عام ٥٦٢ هـ ، وهو ينقل عن شيرويه المتوفى عام ٥٠٩ هـ . ولو قبلنا رأى ابن خلكان لكان معناه أن شيرويه حدد وفاة الأبيوردى قبل سبع وأربعين سنة ، وهل ينقل أن يحدد من سبق نهاية من لحق ؟! ولقد كان السمعانى ثقة لا شك فيه ، نعتقد أن ابن خلكان لم يخطئ ، وإنما جاء الغلط إلى كتابه عن طريق النساخ والكتبة الذين شغلوا من رسالتنا هذه صفحات بتحقيق صغر كوروه فكبروه فرقم خمسة فى العدد !!

ويؤكد هذا الرأى أن الأبيوردى تسلم خزانة الكتب فى المدرسة النظامية بعد الأسفرائينى المتوفى عام ٤٩٨ هـ ، وهذا المنصب لم يكن يتولاه إلا ذو مكانة علمية كبيرة وللسن قيمتها فيه ، ولا نعتقد أن الأبيوردى وصل إليه إلا بعد أن اجتاز مرحلة واسعة من عمره تسلح فيها بعلم وفير وظهرت مؤلفاته ونبهت شهرته وانتشر شعره .

إذا تأكد لدينا هذا ، وعرفنا أن الأبيوردى توفى عام ٥٠٧ هـ فى أى سنة ولد يا ترى ؟ وكم كانت سنه يوم وفاته ؟ هذا ما لم يذكره أحد فلنرجع إلى ديوانه ، ولن نطوف فيه كثيراً حتى نقع على قصيدة يمدح بها الأمير سيف الدولة المتوفى عام ٥٠١ هـ ويصور له فيها ألمه لبياض شعره إذ ألم الشيب برأسه قبل بلوغه الأربعين فيقول :

أقبل بلوغ الأربعين تسومنى ... صروف الليالى أن أشيب واهرما

ونحن نعلم أن سيف الدولة ولى الإمارة مدة اثنتين وعشرين سنة ، فلو فرضنا أنه مدحه سنة توليه الملك أى عام ٤٧٩ هـ لكانت ولادة الأبيوردى عام ٤٣٩ هـ على أبعد تقدير .

غير أنا لا نلبث حتى نرى له قصيدة أخرى يشكر بها الوزير محمد بن منصور المتوفى عام ٤٥٦ هـ فيكون عمر الشاعر يوم نظمها — على حسابنا المتقدم — سبعة عشر عاماً فقط ، وهذا غير معقول إذ لا يحتمل أن تكون شهرته فى هذه السن المبكرة قد بلغت من الذيوع درجة تجعل شرف الدين بن منصور يتبرع تبرعاً بجميل يسديه إليه التماساً لشعره وشكره كما يدعى فى القصيدة نفسها إذ يقول :

تبرع بالمعروف حتى كأنه ... بعد اقتناء المال إحدى المثالب

ونحن أميل إلى الظن أنه ولد قبل هذه السنة ، وما وصفه الشيب الذى حدث عنه سيف الدولة إلا حكاية ألم متقدم مزمن ، وأنه حين توفى عام ٥٠٧ هـ كان قد بلغ من العمر طولا مديداً ظهر أثره فى شعره الحكم حين اتصاله بالمقتدى والمستظهر وسيف الدولة وكلهم عاصروه أواخر القرن الخامس .

ممدوح حقى

(١) الديوان ص ٧

أبى . . . !

للأستاذ أحمد عبد المجيد الغزالى

راحل ! يا ضلالَ هذا الوجود هو باق فى خاطرى ونشيدى
ومن الرحلة البعيدة لقيا بين روحين فوق دنيا القيود
هامتا بعد فرقة الجسد الفانى (م) إلى غير فرقة أو شرود
تنثران الأشواق همساً ونجوى وتعيشان فى ادّكار العهود
السرار الحنى يسرى بسمعى سريان الحنين بين العود

يا أبى ... شاهت الحياة بعينى والجديد البهيج غير جديد !
ألق لى الحكمة الكبيرة واملأ مسمعى من يقينها المنشود
قد عبرت الحياة من شاطئ دانٍ (م) إلى شاطئ قريب بعيد
واجتليت الأسرارَ فى حلك الدنيا (م)
بهاد من فطرة التوحيد
عشقت روحك الرياضة والسَّبح (م)
بواد لا ينتهى لحدود
أنت أطلقتها فهامت بسرّ أدركته على رماد الشهيد
ما انطلاق الأرواح ؟ ما هجعة الجسم؟وقدقرّ فوق هذا الصعيد
ما انطفاء الحياة حين تُولّى ؟ ما حياة الأرواح فوق اللحود؟
ما اللقاء الكبير فى الجدث الضيق ؟ (م)
ما السر بين تلك السدود ؟
ما ارتياد المجهول من سبل الغيب؟ (م) أنمشى لغاية أم نودى
طالما قلتَ لى تحدثُ عنها وتعيد الحديث للمستعيد
كاشفاً عن حقائق الكون دقّت وتأبّت على اللجوج العنيد
ترسل القولةَ الصريحة لله وما عن رضائه من محيد
صادراً عن صفاء نفس تسامت وتعالت عن الهوى والحقود
عشقت عالم السماء وباعت عالمَ الأرض بالرضاء الحميد
عشت لم تدخر سوى العمل الصالح (م)
لله لا لجاه العبيد !

لمف نفسى، وقد ضممت وليدى قائلا : ذاك طارقى وتليدى !
واثباً حوله تناغيه فرحان (م) فيهتز هزّة الأملود
وتثنيه فى ضجيج وشدو ناسياً عنده وقار الجدود !
من له بعد رحلة لك طالت فيناديه صائحاً : يا حفيدى ؟ !
لكأنى به يسائلنى الآ ن وتلك الدموع سؤل الوليد
حين يلقى بنظرة لى حيرى ويحيل العينين بين الشهود
دافق الدمع فى صراخ كئيب ذقت منه مرارة التسهيد
يرسل النظرة الأسيفة ولهى تتندّى فى طرفه الكدود
موحش شاقه حنوٌّ عطوف ما جفاه فى يقظة وهجود
حينما يشتكى تهدهد شكواه ليغفو فى صدرك المجهود
فإذا نام كنت أحلى رؤاه أى حلم يرف فيها سعيد ؟!

جلّ فيك العزاء يا والدى البر وآهٍ من يومك المشهود !
شئت أن ترتقى لربك فى الفجر (م) مع النور هادياً فى الصعود !
سمةُ المؤمنين ، يسعى سناهم بين أيديهم بدار الخلود
وُعدَ المتقون جنة عدن فتمتع بظلها الممدود
وأنهل السَّلسَل النمير رحيقاً شعشعوها فى حوضها الموروود

يا أخى والعزاء منك جميل ما الجرح القصيد غير القصيد(١)
مسحت أدمعى دموعك تنثا ل عقوداً ؛ أكرم بها من عقود
نثروها فوق الضريح وروداً فتندى بدمع تلك الورود

(١) إشارة إلى الشاعر أحمد مخيمر وستنشر قصيدته فى العدد القادم .

يا ابن أمى . . .

للمرحوم أبى القاسم الشابى

خلقت طليقاً كطيف النسيم وحراً كنور الضحى فى سماه
تغرد كالطير أين اندفعت وتشدو بما شاء وحى الإله
وتمرح بين ورود الصباح وتنعم بالنور أنى تراه
وتمشى كما شئت بين الروج وتقطف ورد الربى فى رباه
كذا صاغك الله يا ابن الوجود وألقتك فى الكون هذى الحياه
فما لك ترضى بذل القيود وتحنى لمن كبلوك الجباه
وتُسكت فى النفس صوت الحيا ة القوى إذا ما تغنى صداه
وتطبق أجفانك الناعسا ت عن الفجر والفجر عذب ضياه
وتقنع بالعيش بين الكهوف فأين النشيد ؟ وأين الإياة ؟ !

لشي نشيد السماء الجميل ؟ أترهب نور السما فى فضاه ؟ !
انهض وسر فى سبيل الحياة فمن نام لم تنتظره الحياه
تخش مما وراء القلاع فما ثم إلا الضحى فى صباه
لا ربيع الوجود النضير يطرز بالورد ضافى رداه
لا أريج زهور الصباح ورف الأشعة بين الياه
لا حمام المروج الأنيق يغرد منسدفاً فى غناه
النور ! فالنور عذب جميل إلى النور ! فالنور ظل الإله !

شفتاها . . . !

للأستاذ احمد أحمد العجمى

كلما قبّلتُ فاهـــا أسكرتنى شـــفتاها
وهما كأسان من صهـ باء لا أسلو هواها
صبّها باخوسُ فى فيـ ها وكوبيدُ احتساها
فغـــدا باخوس رباً وكيوبيـــد إلهـا
شـــفتاها غُنوَنا تجـ وى لعشّاق صـــباها
أسمعُ الأنغـــامَ بالأذ ن وبالعين أراها
أىُّ لحن ذلك اللحـ ن الذى قبّل فاها ؟ !

شـــفتاها منهل الأشـ واق للصب المشـوق
وشعاعان من الشمـ س زهتْ وقتَ الشروق
وهما عاشـــقةٌ ما لت على صـــدر عشيق
مَن رأى جمرة نارٍ فوق قوسٍ من عقيق ؟
أو رأى الورد زها واخـ ضلَّ فى كأس رحيق ؟
تنهلُ الأنظارُ منهـــا ريّها وهو صـــداها !
ويودُّ الشّعر لو كا ن محيّاها شفاها !

فيها ذاك الفم الور دىُّ ريٌّ وعبيرُ
شفتاه من صفاء الثّـ غس روح وضـــمير
وهما من رقة الإحـ ساس شـعر وشعور
ومحياها هو الجنـ ـةُ والثغر سعير
وهى الحسناء من خفّـ تها كادت تطير ! !
أنا أهـــواها وتهوا نى ولن أهوى سواها
شفّها الوجد ولكن شفتاها ... شفتاها ! !

قصة الزهرة :

تلك الاشعة المحيرة !

للأستاذ فوزى الشتوى

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

المصارف أيضا

وقضى اكتشاف أشعة إكس على أحدوثة القرن التاسع عشر من أنه ختم الاكتشافات الطبيعية العظيمة . ودفع العلماء والباحثين فى شتى أنحاء الأرض لكشف مجاهل هذه الأشعة وموادها .

٣ — اكتشف أنطون هنري بكرل العالم الفرنسى أن اليورانيوم دائم الاشعاع

فأجرى العالم أنطون هنرى بكرل فى باريس مجموعة من التجارب أراد بها أن يعرف إن كانت المواد التى تضيء عند عرضها فى الشمس تخرج أيضاً أشعة إكس . ولحسن حظه وحظ العالم اختار أحد أملاح اليورانيوم فلف ورقة تصوير حساسة فى ورقة سوداء ووضع فوقها صليباً ثم عرض ملح اليورانيوم لضوء

الشمس ثم وضعه فوق الصليب . فلما حمض الورق الحساس ظهرت عليه صورة الصليب .

وكأن الصادفة تأبى إلا أن تتحكم فى كل كشف بالغ الأهمية . ففى أحد الأيام أراد أن يكرر تجربته ، وأعد الورقة الحساسة فى لفتها السوداء وفوقها الصليب . وانتظر أن تبزغ الشمس ليعرض فى ضوئها ملح اليورانيوم ولكن الغيوم تجمعت فحجبتها تماما فوضع الملح فوق الصليب ، وحفظ الجميع فى أحد أدراج مكتبه .

ومضت أسابيع فتذكر بكرل تجربته وعاد ليكررها . ولكن إحساساً غريباً دفعه لأن يحمض الورقة الحساسة بغير أن يعرض اليورانيوم للشمس ، فأصابته الدهشة التى أصابت رونتجن فان صورة الصليب ظهرت فيها أيضاً . وأدرك من فوره أن عرض اليورانيوم فى أشعة الشمس ليس له من قيمة فى إرسال ذلك الإشعاع الغريب وأن ملح اليورانيوم لسبب مجهول يرسل باستمرار أشعة غريبة تشابه أشعة إكس .

المواد المشعة ؟

وكان بيير كورى وزوجه مارى يعملان فى معمل بكرل . وكان كلاهما مغرما بالأبحاث . فلما أعلن بكرل كشفه فى عام ١٨٩٦ استأذنته مدام كورى فى مواصلة البحث وكان هدفها أن تعرف إن كانت هناك أملاح أخرى غير ملح اليورانيوم ترسل هذا الإشعاع الغريب فوجدت ملحاً واحداً آخر هو ملح الثوريوم يرسل مثل هذا الإشعاع .

ولكنها اكتشفت أيضاً أن خام اليورانيوم يرسل إشعاعاً أقوى أربع مرات من إشعاع ملحة الملح النقى . وكان معنى هذا أن خام اليورانيوم يحتوى على مادة غنية باشعاعاتها العجيبة . وعزم بيير كورى على أن يتخلى عن إكمال بحثه ويعثر هو وزوجه على تلك المادة الفذة .

الراديوم

وتبرعت لهما الحكومة النمسوية بطن من اليورانيوم الخام . فأخذا يحللانه بكل حذر ، ويستخلصان مواده مادة بعد أخرى . فكانت أول نتائج عملهما العثور على مادة تعطى «أشعة بكرل» . وقد أطلقت عليها مدام كورى إسم « بولونيوم » تكريماً لبلادها بولونيا . ولكنه لم يكن غنياً بالأشعة ليحقق أحلام البحث فواصلاه حتى كانت سنة ١٨٩٨ فاستخلص آل كورى من الطن أقل من فحة من مادة تشع مليونين ونصف مليون ضعف إشعاع مادة اليورانيوم وسماها « الراديوم » .

٤ — فى عام ١٨٩٨ عرف آل كورى الراديوم كما عرفنا الدراجات

وكانت ذات خواص أخاذة فتشع الحرارة ، وتكهرب الجو حولها ، وتجعل كثيراً من المواد مضيئة إن قربت منها . كما كانت تقتل أنواع الميكروبات والأحياء الدقيقة . وأصيب العالم والعلماء بهزة عنيفة ، ففى سنوات ثلاث فوجىء العالم بأكبر الاكتشافات عرفها التاريخ ، وأولها أشعة إكس عام ١٨٩٥ ثم أشعة بكرل عام ١٨٩٦ . ثم الراديوم عام ١٨٩٨ .

ولكن الأيام لم تترك آل كورى ينعمون بنتائج بحثهم ففى ابريل عام ١٩٠٣ دهمت سيارة بيير كورى وقتلته . وأسدلت الستار على حياة عالم وضع أساساً جديداً لأبحاث العلم الحديث فى جميع أطراف العالم ، وعلى آثار اكتشاف الراديوم بدأ العلماء يبحثون عن سبب الأشعة المجهولة ، والنشاط الاشعاعى . وأن يحصلوا على تفسير معقول للمواد الطبيعية ومنها هاتان الظاهرتان .

فوزى الشوبى

إلى معالي رسوتي أباظة باشا :

« كان معاليه في الصدر ممن نالوا رضا الملك فأنعم عليهم ، وقد كان من نصيب معاليه الوشاح الأكبر من نيشان النيل »

سيدى ، أقـــل منـ ـك ما أراك نِلْتَـــهُ !
زانك اليوم الوســـا مُ ... إنما قد زنتـه
يدرك يوحى مجـــده لـــكلّ ما حَمَلْتَهُ
ـد بحـــر خضته ومنهـــج سلـــكته
ـد معـــنى مبهم وأنت قـــد أوضحتـه
ك الأياظيـــين أفـ ـنى قـــد رفعت تَمْتَه
ى بالنور من الأقـ ـمار ... لـــكن زدته
ك البيت الـــكري م قـــدر ما أعـــززته
ـن أكن جملته منك ... فقـل أنصفته !

* * *

الفـراش ذلك الشـ ـعر إليـك يرســل
ماقنى عن نظمـه أنى بسقمى مثقـــل
لا هواك ... كل شى ء فى النهى معطـــل
ـ لم أقـله ... إنه فى خاطـرى يرتـــل
ـ يك حب صـادق فالنظم شىء يسهـــل
يـــدى ... أنت الذى نحبـــه ونأمـــل !
ـــل علاء دائمـــاً وإننـــا نسجـــل !
ى ودم وازدد عـــلا أنت بذاك أمثـــل

العوضى الوكيل

من يكتبونه باللغة العربية :

من المعلوم أن رقم (١٠٠) يكتب (مائة) بزيادة الألف بعد الميم (مئة) . وهذه قاعدة قديمة فى اللغة لجأ إليها الناس شيا من الإلتباس بين (مئة) و (منه) وذلك حين لم يكن للشكل والإعجام وجود . قال ابن قتيبة « و (مائة) زادوا فيها ألفاً ليفصلوا بينها وبين (منه) ، ألا ترى أنك تقول : (أخذت مائة) و (أخذت منه) ؟ فلو لم تكن الألف لا لتبس على القارىء » .

أما الآن فنحن نستعمل الشكل والإعجام ولم يبق ما يدعو إلى الإلتباس فى القراءة بين الكلمتين المذكورتين آنفاً أو غيرهما أو لم يبق ما يدعونا إلى أن نكتب (مائة) بزيادة الألف . وبديهى أنه إذا زالت العلة زال المعلول ..

ولست أسوق كلمتى هذه عبثاً ، فإن كثيراً ممن يحسنون قراءة اللغة العربية يغلطون فى هذه الكلمة ، فإذا رأوا (مائة) لفظوها (مائة) حاسبين أن الألف أصلية ، وربما توهم السامع فظنها (ماءة) أى ماء ، وهنا تكون تجاه التباس آخر ناشىء من غلط فظيع ! حتى إن جماعة من مذيعى الإذاعات العربية يقعون فى هذه الغلطة ، ولا شك فى أن ملايين من المستمعين يتعلمون ذلك . وأذكر أنى كنت يوماً مع أستاذ جليل فى بيته نستمع إلى المذياع فوقع المذيع فى هذه الغلطة ؛ فتأوه الأستاذ وقال : « لقد فسدت لغتنا فإنا لله وإنا إليه راجعون » .

وأخيراً : أقترح على كل من يكتب باللغة العربية أن يكتب (مئة) ويلفظ (مئة) جارياً على القول الذى قدمناه : (وإذا زالت العلة زال المعلول) .

(بغداد) صبحى البصام

من خماسيات الأميرى :

من الذين يزورون القاهرة فى هذا الشتاء الأستاذ عمر بهاء الأميرى ، وهو من شعراء حلب المجيدين ، ومحاميها النابهين . وقد اعتاد أن يجالس الأستاذ كامل كيلانى رجلا استثقله فى فندق (الكونتنتال) فمر به ذات ليلة فوجد فى مجلسه ثقيلا فجرى لسانه بهذه الأبيات يقابل فيها بين ظرف صديقه وسماجة جليسه :

شتان بين مهفهف غض الحواشى ، كالفراشه
يصغى إليـــك ، ووجهه زانته أضـواء البشاشه
وغليـظ أوداج ، إذا لاطفته ، أبدى انـكماشه

فظ السكوت ، وإن يناقش قلت : ما أذرى نقاشه هذا يضيع به الحشيش[1] ، وذاك يفدى بالحشاشه

البعثات الأزهرية إلى الخارج

إلى الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر :

أنت يا مولاى أزهرى ملأت أوراق الشهادات الأزهرية ، وهى « شهادة العالمية من الدرجة الأولى » ولكنك لم تقنع بهذا الزاد العربى الشرقى مع خصبه ودسامته ، بل أردت أن تجمع بين علم الشرق الموروث وعلم الغرب المستحدث ، فرحلت إلى فرنسا ، وطلبت العلم فى رحاب «السوربون» وأجدت الفرنسية ، وكنت أستاذاً فى الجامعة الفؤادية سنوات وسنوات ، وبذلك أدركت أكثر من سواك مبلغ الخير الذى يحصله الأزهرى إذا ما جمع بين القديم والحديث ، وقارن بين تراث العرب وتراث الغرب ؛ فهل يكون عجيبا بعد هذا ، أو غريبا أن نلجأ إليك هاتفين بك لتسارع بتنظيم البعثات العلمية الأزهرية إلى الخارج من شباب الأزهر المعمور الذين أتموا دراستهم فى الكليات الأزهرية ، وعندهم استعداد وقدرة على الارتحال ومواصلة الطلب أكثر من الطاعنين فى السن المقتربين من هدوء الشيخوخة والهرم ؟ ! .

لقد سارعت الجامعات المصرية ، والوزارات والهيئات فى مصر فكتبت كتائبها ، وحشدت جموعها ، وأوفدت بعثاتها إلى الخارج ، عقيب الحرب مباشرة ، مع أن هذه الجامعات والوزارات تجد من أبنائها القدامى والمحدثين من ينوبون عن هذه البعثات أو يحلون محل أفرادها ...

أما الأزهر الشريف الذى يحتاج إلى البعثات أكثر من غيره فلم تر من أبنائه فرداً واحدا يرسل إلى الخارج فى بعثة من البعثات !

إن الأزهريين فى أمس الحاجة إلى دراسة اللغات الأجنبية ، وإلى الوقوف على شبه المستشرقين والملحدين ليدافعوا عن دينهم وإلى معرفة ألوان الحياة الاجتماعية والثقافية عند الغربيين ، ليستفيدوا منها فى بناء مجتمعهم الإسلامى الجديد ! فمتى يتمكنون من تحقيق هذه الأهداف ! ! ...

لقد تشرفت يا مولاى الأستاذ الأكبر بالحديث أما فضيلتكم منذ حين عن موضوع البعثات ، وتفضلتم بتقدير هذه المهجة التى تهدف إلى الخير العام ، وتتحدث عن الرعاية الاصلاحية الشاملة ، واعتذرتم بأن العام الدراسى قد انتصف أو كاد ينتهى ، ولا يمكن إيفاد أحد من المبعوثين الأزهريين فى هذا العام ، ووعدتم بتنفيذ هذه الرغبة فى بداءة العام القادم ؛ ولكم نحشى يا مولاى أن تشغلنا الأيام القادمة بشواغلها ، فلتستخر ربك ، ولتصدر أمرك بتنظيم لجنة تنظر من الآن فى تنظيم البعثات حتى إذا ما بدأ العام الجديد أو أقبل كانت الكتائب مجهزة والبعوث مهيأة ، والله يسدد خطاك ، ويديم عليك هداك ويحقق بك الآمال

أحمد الشرباصى

مدرس بالأزهر الشريف

ابن حكينا :

فى (شذرات الذهب فى أخبار من ذهب لابن العماد) الحسن بن أحمد بن حكينا الشاعر المشهور ، قال العماد الكاتب أجمع أهل بغداد على أنه لم يرزق أحد من الشعراء لطافة طبعه وقيده فى تاج العروس بكسرتين مشدد الكاف (فى حكن) ومع شهرته وقع فى (فوات الوفيات) و (دائرة معارف البستانى و (الأعلام للأستاذ الزركلى) مصحفا إلى (جكينا) بجيم مفتوحة وكاف مكسورة .

عبد القادر محمد

الكتاب

المجلة الصادرة عن دار المعارف بمصر

هدفها خدمة الكتاب العربى ومسايرة النهضة الفكرية

(١) مثل سورى معناه . أن ما يأكله من الحشيش يذهب ضياعاً أى لا يساوى ما يأكله .

الملك . . .

ديوان شعر للأستاذ محمود حسن اسماعيل

للأستاذ زكي طليمات

في عنوان هذا الديوان كفاء للدلالة على ما تضمنه ، ولن أجد أبلغ ما أقدم به مقالي عنه ، غير هذه العبارة التي أقتطعها من إهداء الشاعر شعره إلى سيد الكنانة وأمير البلاد .

« هذا هتاف الفن لأنوارك الجديدة في كل آفاق الحياة ، سكبته من دمي غناء يفيض للدنيا بحبك ، وينبض في جوانح الزمن بآيات وطنيتك »

وفي الحق أنه لهتاف يشق أجواز السماء ، أرسله الشاعر في تواجد الصوفي وفي نشوة الفتى الثابل ، فإذا الهتاف تارة تمتمات وتسابيح وترانيم تشع منها أضواء الروح ، وتارة أخرى إرنانات مدوية تشهر في الفضاء شهر السيوف ، تحي مقدم البطل وتشيد بمفاخر البطولة ، وترفع رفع أعلام الأعياد ومشاعل الزينات .

ومباعث هذا الشعر مآثر (الفاروق) حفظه الله ، وقد فاضت به يداه في مناسبات ، فكانت أمن الخائفين والمروعين ، وأفراح المحزونين والمكروبين ، وبشائر الخير والفرج للمحرومين والصابرين . مآثر سجلها الشعر الموفق الآثر ، فإذا هي دستور للبر والإحسان ، في زمن قل فيه البر والإحسان ، فهبت النظم الاجتماعية تفرض على الغني أن يشارك الفقير في ماله ، وتقضي على المتخومين ذهباً وفضة بأن يخففوا مما ثقلت به بطونهم بأن يبذلوا مما بين أيديهم . ثم يشرق الشاعر إشراقة أخرى ، فإذا بالشعر بين يديه يحكي قولة الحق في (الفاروق) ، قولة تتلخص . . في أنه ملك بنفسه وبشعبه ، وليس ملكا لنفسه وبدون شعبه .

كرم الباعث الذي فجر الشعر عيونا ونبل ، كما طاب قول الشاعر ونبه .

١٩ . ٢٦

ولكل قصيدة في هذا الديوان مناسبتها ، وفي كل مناسبة تسجيل لمأثرة فاروقية ، هذا والقصيد يجري على غرار ما هو مألوف في شعر المدائح والمناسبات ، فهو عرض لمآثر من سيق الشعر في ركابه ، ثم تنويه بفعل هذه المآثر في كشف الغمة وزوال الكروب ، ثم رسم لأصداء هذه المآثر في نفوس متلقيها ...

ولو قصر شعر (محمود حسن اسماعيل) على هذا فحسب ، ولم يتجاوزه إلى ما هو أعرق في الشاعرية ، لقصر كلامنا على التنويه بشعر شاعر دفعه إخلاصه للبلد إلى أن يصدر ديوانا يحمل اسمه الكريم ، فالمدائح وشعر المناسبات يتسم أكثره بفيض في المبالغة والاجتلاب ، وبوشي محمل بالتزاويق البيانية ، هذا والأدب العربي ، قديمه وحديثه ، ينوء بأحمال ثقيلة منه ، وما كان ليؤبه بهذا اللون من الشعر لو لم ينسب منه عرق رفيع يعتبر بحق من جيد الشعر مبنى ومعنى ، إذ يحمل طابع الصدق والاعتدال في التعبير ، ويلمع بإشراقات الحذق الفني في الصياغة والأسلوب ، ويتسم بالاتزان ، إذ فيه يعوض الشاعر عن شطحاته وهو يزف آيات المديح ، غوص على المعاني وتوفيق في استخراج طريفها ولطيفها ، ويتجاوز استيحاؤه صفات الممدوح إلى الاستلهام من القيم الإنسانية العامة ، فتكون للشاعر التفاتات تجيء من غير افتعال وكأنها هجس الخاطر ، فتشد إلى القصيد صورا أخرى من الحياة لا تلبث أن تزوده بجديد من المعاني ، فيتسع أفق الشاعر فيما يقول ، وتعظم متعة القارىء أو المستمع له ، وكأن الشاعرية الدافقة في نفس الشاعر لا يكفيها محور واحد تدور عليه ، فهي تتجاوزه قادرة إلى سواه من غير أن تجعل العرض يطغى على الجوهر ، وبدون أن تنفصم عرى التلاحم بين المعاني الأصيلة والواردة عليها .

والمتأمل شعر (محمود حسن إسماعيل) في هذا الديوان ، لا يعدم موطناً يطالعه بهذا .

انظر إلى قصيدته (نور من الله) ، فبعد مديح في الفاروق يبلغ ذروته في هذا البيت :

« تملّكت في شباب العمر تحسبه
لحكمة الرأي تحسدوه القداسات »

إذ بك منقول على جناح خياله ، وقد يمم شطر الأهرام في

لفتة لطيفة ، ليحيط بك فى رحاب البطل (إبراهـــيم) ، وإذ بالشاعر يقول :

أهرام خوفو تهاب الجن ساحتها ... كأنما هى للأقدار خيمات
مخيمات وأسرار السماء بها ... كأنما هى للأفلاك جارات
وخيل رمسيس مازالت سنابكها ... تلقى حديث الوغى عنها الفتوحات
والسيف فى يد إبراهيم ما فتئت ... للنصر ترعش حديه الخيالات
واد أشم العلى ، مرت به حقب ... أيامهن بكف الدهر رايات

واسمع الشاعر يقول فى قصيدته (تشهد الفأس) ...

قل لسارين مشوا فوق الثرى
بقلوب كخطاهم داميات . . .
ومشت أيامهن بين الورى
فى ظلام البؤس حيرى حافيات
أسبغ التـــاج عليكم نوره
ورعاكم وحباكم بره
فاطرحوا الشكوى وإن طال الثرى
أيقظ الله لكم جفن الحياة .
فى عبير الحقل أو رمل الهجير
تشهـــد الفأس على آلامكم

الخ . . . ما ورد فى هذه القصيدة . . . . . .

هذا شعر يتفجر من القلب وليس مما يخرج من اللسان ، من قلب رجل لابس حياة الفلاح وشاهد حفاه وعريه ، وصلى فى محراب أحزانه وآلامه ، واشترك فى ضراعاته . وفى هذا الشعر ما ينبىء عن أن قائله إنما يصدر مخلصاً عما يحسه ، وليس عن هوى فى زف الكلام الموزون الموشى ، ومثل هذا الشعر يأسر القارىء ويغريه بإعادة تلاوته ، لا لجودة الحبكة فى الصياغة ، ولا لطف التعبير ، ولكن لما يتمشى فى جنبات الشعر من نفس حار يشع منه الصدق واليقين .

وفى الديوان ما يماثل هذا ، ولكن فى ألوان أخرى من المعانى والمناسبات ، فلا عجب أن يجىء أكثر الشعر فيه ، تارة زفرات وتنهدات ، وأخرى ابتهالات وتمنيات ، والشاعر فى كل هذا فتى الريف ، سليل حملة الفؤوس ، وعروس شعره جنية من الريف لها خفر أهله ، تطيف به وتهوم فوق رأسه فى دلال المرأة اللعوب ، إن أقبل عليها أدبرت ، وإن أغضى عنها أقبلت ، كما وصفها الشاعر فى قصيدته (تكلم أيها البحر) .

ومحمود حسن إسماعيل قد عرفناه بهذا ولهذا فى ديوانه الأول « أغانى الكوخ » ، وهى قصائد يجرى فيها الشعر جريان السيل الجارف ، ويحمل من الريف غبار مساربه ، وعبقة حقوله ، كما يتنفس عن ألم الفلاح وسقم العامل ، ويصف وصف المستبطن دخائل النفوس ، من طرحتهم عبودية الفقر والجهالة فى كهوف النسيان .

ونرى أن الصلة بين ديوانه « أغانى الكوخ » وبين ديوانه الجديد « الملك » قائمة على أحسن حال من حيث الباعث اللاشعورى لاطلاق شعره ، بيد أن الشعر فى الديوان الجديد يتسم بمسحة ظاهرة من الاناقة ولا أقول التأنق ، لأنه يحنى الرأس فى ساحة المليك ، فإذا الشاعر الذى عرفناه فى (أغانيه) وغيرها يهدر هدر الأمواج الصاخبة وينطلق بيانه كالسيل العرم الذى يحمل من الأرض كل ما يعلوها ، يستحيل نهراً صافى الأديم ، رقراق الماء ، ينساب منمقا حوافيه على إيقاع نسمات الأصيل ...

فإذا افتقدنا فى هذا الشعر الجديد الفورة المزبدة ، فقد أعاضنا الشاعر عنها الهدءة المؤنسة الموحية ، ولهذه كما لتلك ، جمال ودلال ، ومذاق ومتعة .

ولا عجب أن يبدو محمود حسن إسماعيل أنيقاً منمقاً فى شعره هذا ، فأى امرىء لايصلح من هندامه وينفض عنه ماعسى أن يكون عالقاً به ويأخذ بأسباب الأناقة والنظام ، ما دام يعرف أنه سيمثل بين يدى مليك البلاد ! !

وثمت ظاهرة جديرة بالتوضيح فى هذا الديوان ، فإن أبياتاً من الشعر قد وردت وهى تأبى ألا تكشف عن معانيها إلا بعد ممانعة ومماطلة ، فهى تلوح ولا تفصح ، وتومىء ولا تبين . وقد يتوهم البعض أن هذا غموض أو إغراب من جانب الشاعر فى سوق المعانى ، وما هو كذلك ، وإنما هو طبع فى الشاعر يدفعه أحيانا — وقد يصدر فى هذا عن وعى أو فى غير وعى — إلى إيراد بعض من معانيه فى صيغة (التركيب[1]) أو الاجمال . فتكون مناوشة ومصاولة بين المعنى وذهن القارىء ذى النظر والتأمل ، وتكون متعة ذهنية دونها كل متعة يحسها القارىء بعد أن يمانعه الشعر فى الكشف عن كل مفاتنه عند النظرة العجلى .

(١) أى الذهاب فى التعبير والمعالجة من البسيط إلى المركب Synthèse وهذا تقيض (التحليل) Analyse

وقد تكون إلى جانب هذا الطبع الغلاب ، نزعة من جانب الشاعر إلى إيراد غير المطروق والمبذول من المعانى ، فيأخذ بأسباب التنقيب والتوليد ، ويمعن فيهما إمعانا قد يحوطه شيء من التعقيد الذى ينشط التأمل ، فإذا الخطوط التى تستوى فيها معانيه منكسرة وليست مستقيمة ، وقد تلم بأكبر قسط من حيز المعنى كما يشغل الخط المنكسر أطول مسافة وهو منطلق من نقطة إلى أخرى ، تقابلها فى حيز الرسوم ، ولكن المعنى على هذه الحال قد يأتى على غرار لم يألفه من تعود أن يلم بالأشياء فى كامل كيانها عند النظرة الأولى ، وعلى نمط لا يروق من دأب على أن يأخذ الأشياء فى يسر ومن غير كد وانعام نظر .

فى شعر (محمود حسن إسماعيل) ما يعطى طواعية ومن غير حساب وما لا يعطى إلا بعد مطالبة ومعانقة وحساب ، والناس أمام هذا وذاك أذواق وأفهام .

زكى طليمات

مدير المعهد العالى لفن التمثيل العربى

قصة ألمانية :

المهـــد الذهبى

[مهداة للأستاذ الكبير كامل كيلانى]

نقلها الأديبان :

وهبى اسماعيل حقى وابراهيم خير الله

— ١ —

كانت الساعة تدق السابعة صباحا ، حين طرق الخادم باب المكتب ودخل قائلا لسيده فريد إن بباب المنزل قرويا يلح فى طلب الدخول لأنه سيتحدث إليك فى أمر على جانب كبير من الخطورة كما يقول ، فما ذا تأمر ؟

— قروى ؟ !

— نعم يا سيدى !

— يريد أن يتحدث إلى أنا أم إلى والدى ؟

— لقد أخبرته أن سيدى الكبير خرج مبكرا إلى السوق ، وهو الآن فى متجره ، وأنك أنت الذى هنا ، فقال : إنه سيتحدث إليك .

— وهل أخبرك من هو ؟

— لا ، ولست أذكر أنى رأيته قبل الآن .

— ما دام الأمر كما تذكر فأذن له . قال « فريد » هذا ثم أخذ يحرك يده فى سرعة على الآلة الكاتبة لأنه كان يريد أن يتم الرسائل التجارية الخارجية قبل الحادية عشرة ثم يذهب ليساعد والده فى المتجر ، لذلك لم يرفع رأسه ليرد على تحية الزائر إلا بعد أن أكمل السطر ثم قال : خيرا تريد أيها الفاضل ! فتلفت الرجل يمنة ويسرة وكان قصيرا ، واسع الصدر ، عريض المنكبين ، يرتدى حلة واسعة من حلل الجيش ، وقد ربط رأسه بمنديل أحمر تدلى تحت ذقنه ، وأمسك بيده عصا عجراء ، فوقعت عينه فى جانب من جوانب الحجرة على مكتب رصت فوقه أكداس مكدسة من الدفاتر والملفات التجارية ، ورأى الكاتب قد انهمك فى تقليبها واحدا واحدا ، وقد أمسك القلم بيده يثبت فى ورقة أمامه ما يلزم منها ؛ وأنه لم يشعر بدخول القروى لانصرافه إلى ما بين يديه . ورأى أيضا الخادم الذى قاده ما زال ممسكا بمقبض الباب فى انتظار أمر سيده ثم قال : أريد أن أقول لسيادتك كلمة على انفراد . فأومأ « فريد » إلى الخادم أن ينصرف ، والتفت إلى الكاتب وقال :

— « يا أكرم » ! أعتقد أنه ليس لديك ما يمنع أن تشرب القهوة فى حجرة الإستقبال ، وأن تأمر لنا بقهوتنا هنا ، فغادرها الكاتب صامتا . ثم إن فريدا ابتعد بكرسيه عن المكتب ، وجلس قريبا من الموقد ، وأذن للقروى أن يجلس بجواره ، ثم أخرج علبة « التبغ » وقدمها للضيف فاعتذر بأنه لا يدخن فقال له فريد : وأية كلمة تلك التى تريد أن تتحدث إلى بها ؟

— وهل أنت السيد عفت ؟

— نعم أنا هو .

— اعذرنى يا سيدى ! فقد أزعجتك وأنت مشغول ، ولكنى — أطال الله عمرك — اضطررت إلى ذلك لأنى فى مسيس الحاجة إلى صادق معونتكم ، وحسن إرشادكم ، لنصبح فى وقت قصير ذوى مال وفير ، وجاه عريض .

— وأى معونة تحتاج إليها منا ... ؟

— أنت — ولله المنة — فى بسطة من العيش ؛ فقد وهبك فوق ما يتمنى الإنسان من الغنى . وأنا — والحمد لله — نشكو ضيق العيش فحالتى المادية ليس بها من بأس ، ولكن أن يقنع المرء .

دهش فريد من هذا الكلام وأراد أن يطلب إلى الضيف أن سر هذه المقدمة وأن يأخذ فى الموضوع الذى جاء من أجله ، لكن مهارة « بيرام » — وهكذا كان يسمى — فى إلقاء الكلام ه على أن يصغى إليه ليتم حديثه فقال : منذ أيام وأنا أواصل ث فى « اشقودراه » عن رجل جمع إلى شرف النفس ، مضاء م ، وأصالة الرأى ، وغزارة المعرفة ، وسلامة التفكير ، وإنى قد أنى قد وصلت الآن إلى ما كنت أبغى فإنى أقرأ فى صفحات لك آيات الحزم والوفاء ، وإنى واجد — لا محالة — فى قلبك نا للأسرار حصينا .

— هو ما تقول . ولك — إن شاء الله — ما تريد .

— لست أدرى يا سيدى من أين ، ولا كيف أبدأ الكلام ؟ موضوع الحديث مستغرب وستثار كنى فى الدهش والحيرة ما تسمع ، ولا إخالك إلا متعجبا — وهنا أدنى فريد كرسيه القروى حتى تلاصقا ، فقد استهواه أن يقف على جلية الخبر هذه التقدمة الشائقة ، وقد شرع «بيرام» يتكلم فى موضوعه أن تحرك فى كرسيه فقال : لقد عثرت فى الأدغال على أشياء يرة ذات قيمة عظيمة جدا وهى لا بد أن تكون غالية الثمن . يب إليه فريد نظره فى هذه اللحظة ليستدل من ملامحه على ب حديثه من الصحة ، فلم ير أمامه إلا وجها كساه جمال ولة ، وبدت عليه سمات الجد ، ومخايل الذكاء ، وحب المغامرة. بيرام فقد استمر يقول : لا تيأس أيها السيد فإنى أود أن ط لك الموضوع من بدايته كما حدث ، وأرجو أن تفسح لى لك وتلقى إلى بالك فإنه من الخطورة بمكان .

— لك ما تشاء ، وستجد منى صدرا رحبا .

— إنى أمتلك قطعة أرض قريبة من بيتى ، وقد نبت العشب كلأ فيها بكثرة ، وبها كثير من الأحجار الصالحة للبناء . كنت على عزم تجديد البيت واستصلاح الأرض رأيت أن تلك الأحجار لأنتفع بها ولأنظف الأرض منها لتصير صالحة بات ، ولم يكن يساعدنى فى ذلك غير والدتى ، وبينما نحن نعمل بجد وقعت فأسى على حجر كبير، ودفعنى حب الاستطلاع إلى إزالة ما عليه من الأتربة ، وإخلاء ما حواليه فدعوت والدتى لتعاونتى فى ذلك العمل ولتعينى على نقله ، وبعد جهد ومشقة استطعنا أن نحركه من مكانه ، فإذا به غطاء لبئر عميقة يصل الإنسان إلى قاعها بواسطة سلم طويل قد نحت فى الصخر ، وكانت البئر حالكة الظلمة ، فأرسلت والدتى إلى البيت فأحضرت المصباح بسرعة ! ... إنى عاجز يا سيدى عن أن أصور لك حالتى فى تلك اللحظة ، وقد كنت أسمع والدى — عليه رحمة الله — دائما يقول : لو حفر إنسان هذه الأرض لعثر على كنوز قيمة جدا .

كان فريد يستمع إلى « بيرام » وهو مبهوت ، وكانت عيناه لا تبرحان النظر إلى شفتيه وهو يتكلم، وحينما وصل من حديثه إلى هذا الحد سأله : هلا دخلت البئر ؟

— وكيف لا يا سيدى ؟ سأحدثك بكل شىء فلا تتعجل . فإنه لما عادت والدتى بالمصباح أمسكته بيدى ونزلت وكل همى أن أعرف عن المكان كل شىء : عددت درجات السلم فوجدتها خمسين درجة ، وبعدها انتهيت إلى حجرة واسعة تبلغ مساحتها ضعف مساحة هذه الحجرة ، ثم فرك « بيرام » عينيه وغير من نبرات صوته مما زاد فى التأثير على « فريد » الذى كان بجواره جامدا كالتمثال ، كله انتباه وإصغاء حتى لا يفوته من حديث القروى شىء ، لذلك تراه يستعجله بقوله : وأخيرا ما ذا رأيت ؟

— رأيت يا سيدى أشياء غريبة جدا ! لا أدرى عن أيها أتكلم أولا : رأيت تماثيل لرجال من الأحجار ، ورأيت كثيرا من الأوانى الكبيرة المصنوعة من الفخار التى يطلق الناس على الواحد منها إسم « الزير » ويبردون فيها مياه الشرب ؛ هذه الأوانى ملأى بتراب ثقيل لامع ، ورأيت كرسيا كبيرا من الذهب . فاستعاد « فريد » فى استغراب وفى صيغة سؤال عبارة بيرام الأخيرة : « كرسيا كبيرا من الذهب » ؟ ثم مال بجسمه نحوه كأنه يريد أن يفصح أكثر من هذا وقال له : وماذا رأيت أيضا ؟

— ماذا أقول لك ياسيدى ؟ إن ذاكرتى لا تعى كل مارأيت فإنها كثيرة جداً ، وستراها بنفسك عند ما تذهب معى ا.. هناك أسلحة كثيرة مزينة بالأحجار الكريمة . وهناك لوحات كبيرة من الرخام على الجدران نقشت عليها نقوش قديمة . ثم سكت برهة كأنه يستذكر ما رآه وعاد يقول : فاتنى أن أقول

لسيدى إن فى وسط الحجرة تماثا كرسياً طويلا جداً وهو دقيق الصنع جميل الشكل فاقع الاصفرار ، وقد ثبت فى الأرض بمسامير وتتدلى فوقه من السقف سلسلة طويلة من الذهب الخالص تنتهى بقنديل صغير الحجم أصفر اللون لم أر فى حياتى أجمل منه ... وفى ركن من الأركان مهد من الذهب تجلت فيه آية الفن القديم ، وأبدعت فيه يد الصانع فكان تحفة نادرة المثال . هذا كل ما أذكره الآن يا سيدى من تلك الأشياء التى تخلب اللب وتبهر العين . ثم سكت ونظر إلى فريد إيذاناً بأن حديثه قد انتهى وليعرف مدى تأثره بما سمع . وفى هذه اللحظة كان الخادم يدق الباب حاملا إليهما القهوة فصاح فيه فريد بصوت الذى استيقظ من نومه دون أن يتم حلمه اللذيذ : لا نريد قهوة ، فاخرج واتركنا وحيدين . ثم التفت إلى بيرام وقال له : هل أنت متأكد أن أحداً غيرى لم يطلع على هذا الموضوع ؟

— قلت لسيدى إننى قضيت أكثر من سبعة أيام أفتش فى «أشقودراه» عن رجل أستطيع أن أعتمد عليه . وأنا ياسيدى رجل ولدت ونشأت فى الجبل ولم تمكنى ظروفى من الاختلاف إلى المدرسة ، ولذلك تنقصنى الشجاعة لأقوم بمثل هذا العمل وحدى لجهلى بقيمته من ناحية ، ولأن حالتى المادية وحالتى الاجتماعية لا تساعداننى ، ولخوفى من أن أحداً يكتشف أمرى فيرشد ولاة الأمر على من ناحية أخرى . وإن القدر ساقنى إليكم ؛ فقد علمت من أهل الناحية أنكم — أنت ووالدك — أهل ثقة وكرم ، ومروءة وشرف ، فكن على ثقة ياسيدى من أننى لم أحدث إلى أحد قبلك فى هذا الشأن وأنه لا يعلم به الآن سوى ثلاثة : أنت ، وأنا ، ووالدتى .

انتصب فريد واقفاً واخذ يذرع أرض الحجرة ذهوباً وجيئة ؛ فقد هجمت عليه جيوش جرارة من الأفكار ؛ ساوره أولا قليل من الشك لم يلبث أن تبدد وحل محله إيمان راسخ بكل ما قال بيرام حينما اقترب منه وألقى عليه نظرة جبارة لم يتأثر القروى منها ، فاعتقد فريد أن ما سمعه لم يكن حلماً يزول بالاستيقاظ من النوم ، ولا قصة أعمل الكاتب فيها خياله ، ولا أكذوبة لفقها بيرام ؛ فإن سذاجته وعدم تعلمه ومظهره العام وما يدل عليه من طيبة نفس ، وسلامة ضمير ، ونقاء سريرة كل ذلك يباعد بينه وبين الكذب . لا شك أن هذه حقيقة واقعة وأن الحظ قد ساقها إلى والحظ هو كل شىء فى الدنيا . والآن نحن فى حاجة إلى سرعة العمل ، وحكمة الارشاد وكتمان الخبر . ثم كف فريد عن المشى فى الحجرة وتيار هذه الأفكار يدور فى رأسه ونظر إلى القروى الذى كان يشم فى اطمئنان عبير وردة كانت فى يده مما لا يحتمل للشك أثراً فى نفس فريد ، ولذلك قال له : أنت تعرف يا أخى أن مثل هذه الحكاية يجب ألا يطلع عليها أحد حتى لا يتسرب خبرها إلى أذن الحكومة فتتركك صفر اليدين لأن الآثار ملك للدولة ، وقد أحسنت صنعاً بالمجىء إلى هنا فهذا عمل لا يستطيع امرؤ أن يقوم به وحده ، أو هل تعتقد فى نفسك القدرة على الاستفادة من هذه الكنوز من غير أن تستعين بأحد ؟

— لو كان الأمر كذلك لما كلفت نفسى مشقة البحث عمن أطمئن إلى معونته .

— أؤكد لك — وأنا صادق — أن التوفيق قد حالفك حين اهتديت إلينا ، وإنى أعاهدك عهداً لا أحنث فيه أن كل شىء نكسبه من هذه سنقسمه مناصفة ، وهذى يدى وعلى عهد الله وميثاقه وهو على كل ما نقول شهيد ، فمد إليه بيرام يده وتعاقدا على ذلك ، ثم أخذ فريد يقطع الحجرة ثانية ذهاباً وإياباً تاركا العنان لأفكاره التى تضاربت وتعددت وتشعبت ، فمن رحلات للبلاد النائية ، إلى مشروعات تجارية واسعة ، إلى تمرغ فى أعطاف النعيم ، وتمتع بما لذ وطاب من أنواع المتع ، إلى إنشاء فنادق فاخرة ، وابتياع سيارات فخمة ، وعبث مع النساء ، وغير هذا وذاك مما يمليه الهوى وتسعف به النقود . ثم إنه تذكر فجأة أن الوقت أثمن من أن يضيعه فى مثل هذه الأفكار ، وإنما يجب العمل السريع الحاسم ، فرجع إلى بيرام وجلس بجانبه . وقال له : قل ثانية ما ذا رأيت فى هذا الكهف العجيب ؟ فأخذ القروى يعيد تعداد الأشياء التى سردها آنفا مسهباً فى وصفها وفريد يستزيده ويستوضحه ويمطره بوابل من الأسئلة فقد سأله ما عدد الأزيار ؟

— أربعة عشر كل واحد منها أطول من قامتى .

— وهل أدخلت يدك فى أحدها ؟

— لا ! ولكنى رأيت فيها تراباً أصفر اللون .

— وهل هو ذهب ؟

— لا أستطيع أن أؤكد هذا .

— وماذا فى الكهف غير ما ذكرت ؟

— فيه كل شيء ! ... فيه تمثال لإنسان فى ناحية منه حجمه كبير جداً وفى وسط التمثال باب من الحديد .

— وهلا فتحت ذلك الباب ؟

— فى اليوم الأول اعترانى خوف شديد فلم أفتحه ، وإنما جئته بعد يومين اثنين .

— وماذا رأيت ؟

— رأيت أشياء لا يكاد العقل يتصورها ، فالباب الحديدى الذى فى وسط التمثال إنما هو باب حجرة تبلغ مساحتها مثل مساحة الأولى سبع مرات تقريباً . وهى مملوءة على سمتها بأعمدة من الرخام وتماثيل رجال من الأحجار وكراسى كثيرة صنعت من معادن مختلفة وكلها موضوعة فى نظام دقيق غريب .

— وهل هذه القاعد من الذهب ؟

— لست أدرى لأنى لم أقترب منها .

— ولماذا لم تأت بقطعة منها « كعينة » ؟

— نحن يا سيدى أناس جهلة ! تصور أن والدتى ترتعد وفا عند ما ترانى أهم بالدخول ، وهى لا تتركنى أدخل إلا إذا سمعت لها أغلظ الأيمان أننى لن أمس شيئاً من الآثار بيدى . هى تؤمن بالخرافات إيمانها بالله فتعتقد أن هذه الكنوز أمانات توقى تحرسها الأرواح ، وأن هذه الأرواح تنال بالأذى من تمتد يده إلى تلك الأمانات .

— هذا كلام فارغ ! واعتقاد فاسد ، ووهم باطل ... كم فى الوقت تستغرق المسافة بين هنا وبين منزلكم ؟

— تستغرق ساعتين أو ساعتين ونصفاً على أكثر تقدير .

— إنى أود أن أرى قطعة من هذه الآثار فما رأيك ! أريد أن أراها لأتحقق أذهب هى أم فضة أم ماذا ؟ فرجائى أن تذهب الآن وتعود بقطعة منها .

— أمرك نافذ ياسيدى ! ولكنى أرى أن القيام بهذا العمل فى النهار غير مناسب ، وإنما يناسبه الليل ؛ لأنه أحفظ للأسرار ثم إنى على ميعاد فى السوق اليوم ولا بد من الذهاب إليه قبل العودة إلى المنزل .

— أنصحك بترك كل عمل آخر لتتفرغ لعملنا نحن ؛ فإننا سنعيش منه مترفين ولن نحتاج لشيء ولا لأحد مدى الحياة .

— الحق ما تقول ، وإنى لن أذهب إلى السوق لقضاء مصلحة ، وإنما لمقابلة صديق ينتظرنى . فسأله فريد فى صوت الخائف الشاك ، ومن يكون ذلك الصديق ؟

— رجل لا تعرفه . وسأكون بعد غروب الشمس فى بيتى ، ومهما تأخرت فسأرجع إليك الليلة « بالعينة » موضوعة فى غرارتين مملوءتين بالفحم .

— وأى شيء تأتى به من هذه الآثار ؟

— سآتى — إن استطعت — بشيء من القنديل ، ومسامير المقعد الكبير ، وما يمكننى قطعه من المهد .

— لا ! لا ! لا تمس المهد بسوء ، ولكن أدخل يدك فى قاع « زير » وأت بشيء مما تحت التبار ، وإن لم تجد غير التبار فيكفى أن تأتى ببعضه فى منديل .

— إنها يا سيدى مهمة شاقة ؛ فإنى كلما أردت الدخول بكت والدتى وملأت الدنيا صياحاً ، ولكنى سأفعل المستحيل لإرضائها ، والقيام بما أمرتنى به ... وهنا أدخل فريد يده فى جيبه وأخرج كيس نقوده وأخذ منه جنيهين من الذهب ووضعهما فى يد بيرام وقال له : خذ هذا المبلغ الضئيل واشتر لوالدتك هدية وحاول أن تقنعها أنها إن تركتك حراً فستصبح بعد زمن يسير من أغنى الناس ، وأن ما تدعيه من أن ما فى الكهف أمانات تحرسها الأرواح إنما هو خرافة ، فأخذ بيرام المبلغ ووضعه فى جيبه ثم استأذن فى الخروج على أن يعود ثانية بعد الظهر . فقال له فريد : ستتعشى هنا معنا .

— لا ! يا سيدى أشكرك .

لا ! لا ! لابد بعد عودتك من السوق أن تتناول العشاء معنا ثم تخرج إلى بيتك .

— أمرك يا سيدى !

— سأنتظرك . ولما هم بيرام بالخروج ناداه فريد وقال : هل تسمح أن تشرفنى بمعرفة اسمك ؟ فإنى نسيت .

— إسمى بيرام يا سيدى ... قال هذا ثم انصرف .

(يتبع) وهبى إسماعيل حفنى وابراهيم نصير الله

بادر باقتناء نسختك من كتاب :

دفاع عن البلاغة

للأستاذ

احمد حسن الزيات

وقد زيدت عليه فصول لم تنشر

يطلب من إدارة الرسالة ومن المكاتب الشهيرة

وثمنه ١٥ قرشاً

شعاب قلب

دروس نفسانية تحليلية

صور من صميم الحياة

تحاليل فلسفية على ذهن القارئ،

عرض مشوق مرغب

بقلم

حبيب الزحلاوي

يطلب من إدارة الرسالة الثمن ١٥ عدا البريد

سكك حديد الحكومة المصرية

جداول مواعيد القطارات لفصل الصيف سنة ١٩٤٦

لقد شرعت المصلحة فى الاستعداد لإصدار طبعة الصيف المقبلة من جداول مواعيد القطارات المتداولة بين آلاف الجماهير وذلك إعتباراً من أول مايو سنه ١٩٤٦ .

وفضلا عن أهمية الإعلان فى الجداول المذكورة فإن المصلحة تتقاضى مقابل النشر فيها أجر رهيدا فالصفحة الكاملة بستة جنيهات ونصف الصفحة بأربعة جنيهات .

فاغتنموا الفرصة وسارعوا من الآن إلى حجز ما يروقكم من صفحات هذه الجداول نظرا إلى أن الإقبال على الإعلان فيها شديد .

ولزيادة الاستعلام اتصلوا . —

بقسم النشر والإعلانات — بالإدارة العامة — بمحطة مصر .

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)